العود الأبدى

محمد راشد

رواية

العود الأبدي

تأليف

محمد راشد

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http://book-juice.com

رواية

العود الأبدي

المؤلف : محمد راشد

نشر في : أغسطس 2018

تصميم غلاف:إسلام محمود

تصحيح لغوي: علي زين

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الالكتروني

إهداء

إلى كل المعذبين في الأرض، كل البائسين في الوجود، الذين تعذبهم المعرفة وتؤرق نومهم، إلى كل من بحث عن جدوى للوجود ولم يجد، كل من تعلق بوهم الإرادة وأستيقظ على حقيقة الجبر. إن كان هذا يواسيكم فسأقول لكم أن الأمر ليس بأيديكم، فقد وقع وانتهى، وليس بأيديكم منعه فلقد ولدتم

وسبق السيف العزل، الحق أقول لكم، لا تملكون سوى الصراخ؛ فاصرخوا في وجوه الموهمين لعل فيهم من يسمع ويستفيق ويعم البؤس على الجميع.

ولقد كُتب علينا – نحن البشر – الُسكر بالوهم، فأسكروا واملئوا كؤوسكم من خمر الوهم المصنوع بعناية، أشربوا حتى تنتشي وتسكروا، أشربوا حتى تنسوا إن ما تتجرعوه هو الوهم ، حينها فقط ستستطيعون المضي قدمًا في هذه الحياة.

عندما كُتب عليهم السكر

كان يا مكان في سالف العصرِ والأوان في زمنٍ قديمٍ غابر لا يعرف البشر متى كان، وفي مكان لا يعرف البشر موقعه..وقعت أحداث قصتنا والتي لا يعلم البشر أنها وقعت، ولا يعرفون ماذا حدث ولن يعرف من لن يقرأ مكتوبي هذا أنه حدث. يحكى أن هناك مجموعة مكونة من خمسة أشخاص، عالم ورجل دين روحاني وقائد كبير، واثنان من العامة لا شأن لهم ولا قيمة تذكر إلا أنها مداد وخدم للخاصة، كانوا يركبون سفينة عظيمة، لا يعرفون من أين جاءوا ولا من هم، لا يعرفون أسلاف لهم ولا حياة سابقة، لا يتذكرون أى ماضي ولا يرون أى مستقبل كأنهم سقطوا من السماء، نشأ وعيهم فقط في السفينة، كأنهم خرجوا للتو من العدم، وعندما وعوا بما حولهم تذكر كل واحد منهم من يكون، هذا قائد وهذا عالم والأخير رجل دين، لكن لم يعرفوا من أين جاءوا ولا أين هما ولا المكان المتجهين إليه، والآخرين لم يفكروا فقط جلسوا مستسلمين كعادة العامة مفعول بهم وليسوا فاعلين، للوهلة الأولى ومن أول نظرة كره رجل الدين " زلنبور" العالم " صفائيل " حتى قبل أن يعرف اسمه، كره غير مبرر وبغض دفين، كأنهم يعرفون بعضهم البعض من أزمنة عديدة، أو كأن من وضعهم هنا وضع بداخلهم كره متبادل، أما القائد " سلفادور " فكان صامت ينظر حوله في الأجواء الضبابية فهم لا يرون سوى داخل السفينة وحدودها، أما خارجها فلا يرون شيء من الضباب..يسمعون صوت المحركات لكن لا شيء يرى ولا وجهة تُعرف، عندما ظهرت

الأفكار في عقولهم دفعة واحدة، لم يتذكروا شيء أيضًا، فقط عرف كل منهم من هو وما مهنته وتذكر صفاته. وفجأة بدون مقدمات رست السفينة وتوقفت كأنها لم تتحرك يومًا، راحت الغيوم تنقشع رويدًا رويدًا، وظهر في الأفق جزيرة عظيمة تمتلئ بالخضرة ودخان يتصاعد من قمة جبل بعيد، بدون أن يتبادلوا أى كلام تحرك الثلاثة هابطين من السفينة..وظل العوام الثلاثة ماكثين مكانهم..هبطوا إلى الجزيرة وراحوا يسيرون في شوارعها الخالية بعد أن أرسوا السفينة وربطوا حبل بها والطرف الأخر أوثقوه حول صخرة عظيمة كانت موجودة على الشاطئ، كانت الصخرة مناسبة تمامًا كأنها وضعت لتكون مرساة للسفن فقط، الجزيرة مساحة كبيرة من خضرة رائعة، هناك جبل عالي على حدودها الجنوبية يتصاعد من قمته الدخان، تقدم القائد حاملًا غصن شجرة وجده على الأرض، غصن مسنن الطرف جعله كرمح في يده، غريزة فطرية لدية وعاده، كان موقن أن القائد دائما لابد أن يأخذ حذره من أي خطر محتمل، سار خلفه العالم وهو يتلفت حوله في انبهار، وفي الخلف منهم " زلنبور " يتلفت بريبة في ما يحيط بهم، تقدم الجميع متجهين ناحية الجبل، كان الطريق ممهد إلي الأعلى كأنه صنع خصيصًا للصعود، وحين وصلوا إلى الأعلى وجدوا حفرة عظيمة في قمة الجبل هي مصدر الدخان، حين نظروا بداخلها رأوا الآلاف من الجثث البشرية متفحمة عن أخرها بالنيران والدخان, يخرج منها متصاعد إلى السماء في شكل عمودي لا تحركه الرياح ولا تتلاعب به، كأنه سهم موجه بقوس..أثار المشهد تقززهم وأشعل الخوف في قلوبهم، وراحت التساؤلات تتقافز في عقولهم، كيف ومتى ولماذا حدث كل هذا؟ وأين كان هؤلاء البشر يسكنون وأين كانوا يبيتون في ذلك الخلاء الفسيح؟ من أحرقهم

ولماذا أحرقهم وكيف أحرق هذا العدد كله؟ وأين ذهب وأين اختفى بعد أن أحرقهم؟ لم يجدوا إجابات ولم ينبث أحدهم **بكلمة لمدة ساعة، حتى قال لهم رجل الدين يجب أن نجتمع لنرى ماذا سنفعل في هذا الذي لا نفهمه، في هذه الجزيرة، جزيرة الغموض والتي أسموها فيما بعد**

" تاهيمنس ".

تاهيمنس بعد ألف ومائة عام....

تجليات زجاجة فودكا

الشمس ساطعة خلف حاجز كثيف من الغيوم وقبة كبيرة غير مرئية من الطاقة تحيط بجزيرة " تاهيمنس " أبتكرها أحد علمائها، تعمل تلك القبة على حجب أشعة الشمس الضارة وتسمح بعبور الأشعة المفيدة والجيدة فقط، تقع جزيرة " تاهيمنس " في عمق المحيط لا يعرف عنها أحد شيء، لا يصل إليها إلا من يعرف مكانها مسبقًا ويستطيع أن يذهب إليها بدون خريطة أو بوصلة , فهي ليست مرسومة في أي خريطة، ولا تشير إليها أي بوصلة. لديها اكتفاء ذاتي من كل شيء، مأكل، ملبس، مواد بترولية، كل شيء تحتاجه الجزيرة ويلبي رغبات سكانها موجود بها، لا يعرف سكانها عن العالم الخارجي أي شيء، يسمعون حكايات بوجود عوالم أخر خارج عالمهم، لكن لا دليل ينفي أو يؤكد ذلك، البعض يقول أنها حكايات حقيقية والأغلبية يقولون أنها مجرد أساطير، لكنهم لم يخرجوا من جزيرتهم قط، يعيشون في بيئة نقية تمامًا بفضل جوها الطبيعي وبفضل محافظتهم عليها، متقدمين تقدمًا تكنولوجيًا لم يرى البشر مثله قط، ولم يوجد يومًا على وجه الأرض، يحرص رئيسها " سلفادور العاشر " على النظام أشد حرص، شعب الجزيرة بأكمله يعشق النمطية لا يغير روتينه المعتاد أبدًا.

ذات يوم، وفي فصل الربيع الدائم لديهم؛ فبفضل قبة الطاقة استطاعوا أن يتحكموا في حرارة الجو لتصبح كل مواسمهم ربيع، ولم يؤثر ذلك في زراعتهم ومحاصيلهم , فلقد

كانوا يقومون بالزراعة في أماكن مخصصة للزراعة, يهيئون فيها الجو المناسب للمحاصيل.

في ذلك اليوم أستيقظ " ألبير " الطبيب المقيم بالمستشفى العام للجزيرة ليتابع حالات مرضاه لم يكن نظام الجزيرة يسمح لطبيب بإنشاء عيادة خاصة له، الطبيب يعمل في المستشفى فقط, بدأ مناوبته الصباحية بالذهاب إلى غرفة " كالي " للاطمئنان عليه، كان " كالي " يعاني من جلطة بالمخ أفقدته الوعي منذ أسبوع , وأستغرق في غيبوبة منذ ذلك الحين لا أمل لديه في الأفاقة منها. دلف الطبيب إلى الغرفة، نظر في تقارير المريض ليجدها مشابهه لتقارير الأمس (لا تقدم في حالته)، فجأة أثناء قراءته للتقارير فتح " كالي " عينيه، ففوجئ الطبيب وأندهش، نظر كالي حوله، رأى جهاز التنفس مثبت فوق فمه وأنفه وأنابيب المحاليل تتدلى من جسده، أصابه الذعر، حاول نزع جهاز التنفس، سارع ألبير محاولًا تثبيته، ضغط زر نداء التمريض، لم يلبثوا إلا ودخلوا مهرولين إليه وثبتوا كالي المذعور، راح ألبير يفحصه ويحاول تهدئته حتى استكان، أخبره بحالته وغيبوبته، أمر التمريض بأخذه إلى غرفة الأشعة لعمل أشعة مقطعية على المخ، وأكد عليهم سرعة جلب الأشعة إليه في مكتبه الخاص.

أصطحب طاقم التمريض " كالي " وهو لا يفهم شيء، كل ما يتذكره أنه كان يصرخ بشدة في وجه زوجته، أثر مشادة حدثت بينهم، ثم على حين غره ضربه أخو زوجته الذي كان يقف خلفه على رأسه، وحين ألتفت إليه وهو مشوش الرؤية وجد في يده عصا خشبية غليظة، ثم دارت الدنيا من حوله ولم يستفق إلا منذ قليل والطبيب يفصحه، توجه به التمريض لإجراء الأشعة التي طلبها الطبيب، وحين انتهت أرسلوها

بسرعة إلى " ألبير المنتظر في شغف ولهفة، لم تمر ثلاثين دقيقة إلا وكانت الأشعة بين يديه، فحصها جيدًا ليجد أن الجلطة اختفت تمامًا من المخ كأنها لم تكن، حتى التجمعات الدموية اختفت ولم يعد لها أثر بالمخ.

****

في معبد " تاهيمنس " وقف المعظم " زلنبور التاسع " كبير الكهنة ممسكًا بالكرة المقدسة في يده، يشير بها إلى رأس " فرانك " المستلقي أرضًا يصرخ بكل ما أوتي من قوة حنجرة وحبال صوتية، وأربعة من الرجال ممسكين به. رغم تقدم الجزيرة التكنولوجي والمعرفي الكبير إلا أنهم مازالوا يؤمنون بالشيطان ومسه للبشر وأنه يمكنه أن يصرع أشد الرجال بأسًا إذا مسه، فمهما تقدم البشر يبقوا بشر، يبقى بداخلهم ذلك الدافع النفسي لإيجاد قوى كبرى تفوقهم قوة ينسبون لها كل الشرور التي تحدث ويلقونها عن كاهلهم وقوة أخرى مقابلة تكون خيرة ينسبون إليها كل تفوق ونجاح ويلجئون إليها وقت ضعفهم وحاجتهم، وإن لم تكن تلك القوى موجودة كان البشر سيخلقونها ويتوهمون وجودها حتى يعوضون ذلك النقص في نفوسهم، ويعتنقون الوهم ويسكروا به حتى يصبح حقيقة مع مرور الزمن. راح المعظم " زلنبور " يتلو صلواته بتلك الكلمات الغير مفهومة بلغة غير لغة أهل الجزيرة لا يتعلمها إلا الكهنة وحدهم، فهي وسيلة الاتصال بالرب ويحذر على العامة تعلمها نظرًا لقيمة الرب وعظمته فلا يجوز أن يتعلم لغته إلا كهنة المعبد وحدهم، وعلى من يرغب في الاتصال بالرب أو الحديث معه أن يكلمه من خلال الكهنة. أستمر في تلاوة صلواته فوق رأس " فرانك " وهو ينثر على وجهه البصاق المقدس، ذلك البصاق المجمع من رجال مجلس المعبد

المائة..مئة كاهن يتجمعون يوميًا لمدة ساعة يقومون بالبصق داخل آنية كبيرة يتم تجميعها بعد ذلك في أناء واحد، يجمعون ريقهم ويبصقون، ثم يجمعون ويبصقون لمدة ساعة وحتى تمتلئ الآنية، ثم يوضع الإناء المجمع المزود بصنبور في أسفله في صدارة المعبد ليأتي الناس بعد ذلك ليأخذون منه ما يحتاجونه بغية التبرك به ورش الأعتاب والبيوت بغية طرد الشياطين والوقاية من شرهم، يأتي العالم والمهندس والطبيب والمزارع، ويأتي الوزراء ومديرو البنوك، ويأتي رئيس الجزيرة وضباط أركانه، الجميع يسعون لنيل البركة من البصاق المقدس.

كان فرانك صريع طريح الأرض يصرخ بشدة والكاهن يتلو صلواته ويرشه بالبصاق دون توقف، يعرف الكاهن أن ما يفعله ما هو إلا محض إيحاء بالعلاج، وحده كبير الكهنة من يعلم السر الأعظم؛ أن كل هذا مجرد وهم لضمان سيطرة المعبد على أهل الجزيرة وعدم فقد مكانتهم وامتيازاتهم الكهنوتية.

فجأة توقف فرانك عن الصراخ كأن الشيطان تركه وفر هاربًا، فر الشيطان الذي لم يحضر قط، تعجب كبير الكهنة مما حدث، أسرع بالتماسك، هنأه بشفائه، ساعده من معه على النهوض فرحين بشفائه المتوقع فهم لم يأتوا به إلى كاهن عادي أو صغير بل أحضروه إلى كبير الكهنة والمتحدث باسم الرب، راحوا يقبلون يد الكاهن الأعظم ورأسه، وبالغ أحدهم وقبل قدميه ولم يمنعه الكاهن، وحذا فرانك حذوهم، خرجوا من المعبد عائدين إلى منازلهم بصحبة صديقهم تاركين الكاهن الأعظم في حيرته التي لم يلبث إلا وألقاها عن كاهله معللًا ما حدث بأنه صدفة بحتة، أو أن الإيحاء قد نجح في علاج الموهوم.

****

كان رجال المعمل الخمسة يملئون غرفة " روبن "، رجال المعمل هم المختصين بالتعامل مع جثث الموتى، فمنذ أمد طويل توقف أهل " تاهيمنس " عن دفن موتاهم بعد أن أكتشف

" صفائيل الثامن " كبير علماء الجزيرة طريقة عبقرية لتوليد الطاقة من أجساد الموتى عن طريق وضعها في معمل خاص يجمع كل الجثث، توضع كل جثة في حوض خاص بها بداخله سوائل معينه من عناصر كيميائية بعينها تتفاعل مع الجسد البشري الميت فتنتج كميات كبيرة من الطاقة سميت بالطاقة " الكهروبشرية " ومنذ ذلك الوقت وهم يستخدمون الجثث لتوليد الطاقة حيث يدوم عمر الجثة لحوالي عشرين عام داخل السوائل قبل أن تتلاشى تمامًا داخل السوائل وتمتزج بها فترفع كفاءة تلك السوائل وتضاعف من إنتاج الجثة البشرية التي ستوضع بعدها.

كان روبن قد تخطى التسعين عامًا، مريض قلب أوشك على الاحتضار بكل مقاييس الطب، أرسلت أبنته إليزابيث في طلب رجال المعمل ليكونوا حاضرين حين موت والدها كما جرت العادة، راحت تبكي بحرارة على والدها المقبل على الموت فيما كانت أعين رجال الموت مثبتة على أجهزة قياس ضربات القلب منتظرين أن تعلن توقفه وموت روبن، لكن فجأة ارتفعت مقاييس ضربات القلب ليعود قلب روبن ينبض بشكل طبيعي بعد أن كان يستعد للموت، تعجبت إليزابيث وكذا رجال المعمل، فحصوا أجهزة القياس علها تعطلت، زادت دهشتهم عندما وجدوها تعمل على أكمل

وجه، أستيقظ روبن كالمستيقظ من النوم، تساءل ماذا يحدث؟ أخبره أحد رجال المعمل أنه كان من المفترض أن يكون ميت الآن ولكن دون أي أسباب منطقية هو حي ولقد تحسنت حالته تمامًا .

– هل عدت من الموت؟

– أنت لم تعد من الموت فإذا كنت ذاهبًا إلى الموت فلن تعود مرة أخرى لتعرف ذلك، كنت مريض وشفيت بشكل غير منطقي ولكن هذا ما حدث.

دخل الطبيب الخاص لآل روبن الذي هاتفته إليزابيث ما إن أستيقظ والدها، فحص روبن وعلامات الدهشة تملئ وجهه، قلبه كقلب شاب في العشرين؟! سأله روبن كيف هذا؟ أنا مريض قلب منذ عشرات الأعوام!!

– لا أعرف كل ما أعرفه أن قلبك لا بأس به، لا بل قلبك كقلب جواد جامح.

خرج رجال المعمل فارغي الأيدي عائدين إلى معملهم بعد أن أصبح لا عمل لهم في منزل روبن، جلست إليزابيث بجوار والدها، احتضنته ثم انتحبت بشدة، وعقول الجميع تتساءل كيف لمثل هذا أن يحدث؟!

****

أنتصف النهار وانقشعت الغيوم، غزت أشعة الشمس الجزيرة، وغزت الأخبار الأذان، كانت الجزيرة كبيرة المساحة قليلة السكان، تنتشر فيها الأخبار سريعًا. كان جون رئيس تحرير جريدة الجزيرة الرئيسية " أخبار تاهيمنس "يجلس في مكتبه متعجبًا،

وصلت إليه ثلاثة أخبار مشابهة عن ثلاثة أفراد مختلفين كلهم نفس الحادثة.. اختفاء المرض بشكل غريب ومفاجئ، رفع سماعة الهاتف وأتصل بالرقم الخاص لسلفادور رئيس الجزيرة، ليحدثه بما وصل إليه من أخبار، نهره سلفادور على ما قال وأستنكر ما سمعه منه بسبب لا منطقيته، أتهمه بأنه يرغب في أثارة البلبلة في الجزيرة بخبر أبله كهذا وعليه أن يكف عن العبث في مثل تلك الأمور ولا ينشر شيء عن هذا إلا بأمر شخصي منه، أغلق سلفادور الهاتف ثم نظر إلى وزراءه المجتمعين منذ ساعة في اجتماع طارئ، أخبرهم بأن الأخبار التي وصلت إليهم تصير مؤكده أكثر وأن جون أيضا قد علم بها، تعالت الهمهمات القلقة والآراء المضطربة، راح كل وزير منهم يدلي بدلوه في ذلك الأمر، من قال بوجوب نشر الخبر، ومن قال بالكتمان، لكن أجمع الجميع على ضرورة عرض الأمر على طاولة البحث العلمي والديني، وعلى صفائيل والمعظم زلنبورأن يجتمعوا سوياً لمناقشوا الأمر، في النهاية استقروا على انتهاج الشفافية ونشر الخبر لكي يعلم عامة الشعب حجم ما هم فيه من أمر خيالي وغريب، خصوصًا بعد أن تعددت الحالات، فبعد الثلاث حالات الأولى وصلت إليهم أخبار بحالات أخر كثيرة، فمن كان مريض قلب قد شفي، ومن كان مريض سرطان قد شفي، وكذلك مرض الإيدز، ومرضى الكبد، ومن خلال استعلام سريع قام به رئيس الجزيرة، أكتشف أنه قد شُفي كل مرضى الجزيرة تمامًا، وكل الأمراض قد اختفت، الكبيرة منها والصغيرة، وحتى المستعصية.

في اليوم التالي صدرت الصفحة الأولى لجميع الصحف وبها مانشيت واحد....

لقد مات المرض.

****

جرت العادة أنه في المساء تزال الطبقة الحاجبة الغير مرئية عن باطن قبة الطاقة؛ فتظهر حزم الطاقة متلاصقة متراصة لتضئ الجزيرة بنور أزرق براق. في القاعة الرئيسية في القصر الرئاسي عُقد اجتماع مصغر يضم الرئيس سلفادور والمعظم زلنبور وكبير العلماء صفائيل، اجتماع سري مغلق ليناقشوا فيه الأزمة الحالية السائدة في الجزيرة، فمنذ اختفاء المرض بالأمس وهاتف الرئيس لا يتوقف عن الرنين، تتوالى مؤسسات الجزيرة في الاستفسار وإبلاغه بحالات جديدة حتى أنه في خلال بضع ساعات كانت قد وصلت إليه استطلاعات شبه مؤكدة أن كل مريض بالجزيرة قد شفي باختلاف أمراضهم وأعمارهم، الأمر في ظاهره جيد لكن البشر دائًما يخافون مما لا يعلمون، يهابون كل جديد. حين صنعت قبة الطاقة لأول مرة وإبان أطلاقها كان أهل الجزيرة معتكفين في المعبد ويراقبون من خلال الشاشات ما يحدث، يصلون داعين أن يمر الأمر بسلام , رغم تحمسهم للفكرة، كان المعظم زلنبور يرفض الأمر تمامًا ويرفض فكرة قبة الطاقة شكلًا وموضوعًا، حاول بشتى الطرق منع صفائيل من أطلاقها، لكن كل محاولاته باءت بالفشل، كانت حجته في ذلك أن صفائيل يريد تحدي إرادة الله، شرع الله تعاقب الفصول والليل والنهار وتلك هى الطبيعة فكيف يغيرها اختراع بشري؟ وكان صفائيل يرد عليه بقوله أن العلم هو أكبر دليل على وجود الله وأكبر دليل على قدراته، فهو يقتبس اختراعاته من عظمة الخالق وطبيعته التي خلقها، وفي النهاية إصرار صفائيل وتفهم سلفادور ربحا وتم أطلاق القبة. لكن في حقيقة الأمر كانت حجة زلنبور مجرد حجة وليست السبب الحقيقي، أما السبب الحقيقي فكان في أرثه الفكري من

عائلته وجدوده، لطالما حذره والده قبل موته من العلم والعلماء، هم أكثر معاديين لهم، يجب عليه تحجيمهم كلما أستطاع ذلك، وجب عليه أن يكون هو المتصدر دائًما لا العلم ورجاله؛ فإن تصدر العلم فسيمحي رجال الدين من الوجود.

توجه سلفادور إلى الثنائي بالحديث مخبًرا إياهم أنهم منارات العلم على الجزيرة وهم من يملكون كل القوى اللازمة لمواجهة الأمر معه، هم أكبر منبرين في تاهيمنس كلها، منبر الدين ومنبر العلم، عليهم أن يتفقوا سوياً ليتشاورا في هذه الأزمة بينما يجلس هو بالخارج يسمع حديثهم عن طريق الكاميرات المثبتة في الغرفة أثناء ما ينهي بعض الأعمال المتراكمة، تركهم وحدهم ثم خرج بعد أن ذكرهم أنهم هم الثلاثة حكام الجزيرة الفعليين، يحكمونها معًا. ران الصمت على المكان دقائق طالت وكل من الجالسين ينظر إلى الأخر حتى أستفتح صفائيل الحديث قائلًا.. هل تعلم يا زلنبور أني لا أكرهك؟ نعم لا أكرهك ولا أريد اختفائك، أنت أعظم مساعد لي وإن لم تعلم ذلك...لا تتعجب سأقول لك كيف هذا، إن وجودك ومعارضتك كل حلولي العلمية هو أكبر دليل على إن الدين أكبر من أمثالك المدعيين وأن الله لا يحتاج لوسطاء من أمثالك. هل تعتقد أني أصدق ذلك الهراء الذي تنطق به وتقول أنه لغة مقدسة؟ هل تعتقد أني أتبرك بمخلفاتكم من البصاق؟ أنا حتى الآن لم أحاربك صراحة كي تبقى حتى يكتشف الناس بأنفسهم أنك مجرد مدعي وأن الله لا يحتاج وسطاء جشعين مثلك ليتكلموا بلسانه أو ينقلوا حديثه إلى عباده، فإذا حاربتك أعلم أنك ستنتصر بخداعك وحسن حديثك، أما إذا أسقطك الناس فلن تقوم مرة أخرى. راح زلنبور يضحك بهستيريا ضحكات متواصلة وصفائيل ينظر إليه مبتسًما باستحقار، استمرت

نوبة ضحكاته أكثر من ربع ساعة ثم توقف فجأة عن الضحك، صمت قليلًا وراح يفكر، ثم قال هذا ليس موضوع بحثنا الآن، قال وصمت كأنه يهرب. لطالما تجنب النقاش مع صفائيل فقد كان يخاف ذكائه ويحاول تجنبه، أخذ صفائيل دوره في الضحك ثم توقف وقال: وهل تعتقد أني أحتاج لمساعدتك في بحث هذا الأمر العلمي أيها الآفاق المدعي؟ هنا دخل سلفادور في عصبية بالغة وهو يقول:

- ألم أخبركم أن تنحوا خلافتكم السابقة ولنفكر الآن في تلك الأزمة؟ نعم يا صفائيل جميعنا نعلم أن زلنبور ومجلس كهنته مدعيين لكنهم مهمين للجزيرة كأهميتك تمامًا، هم عقاقير العلاج المهدئة لجموع الشعب، بدونهم لن نستطيع التعامل مع الشعب وإن كنا مؤمنين، وجودهم مهم كوجودك وأكثر أهمية في بعض الأحيان.

ارتفعا حاجبي زلنبور في دهشة متفاجئ فيما, ارتسمت ابتسامة نصر على شفتي صفائيل، نظر سلفادور إليه .

- أعتذر لك أيها المعظم مكانتك كما هي لا مساس ولكن هذا الوقت ليس وقت نفاق نحن في أزمة، الجزيرة في حالة ذعر شديدة ولا أعرف كيف نهدأ جموع الشعب.

ظلوا يتناقشون ما يزيد عن ثلاثة ساعات حتى استقروا في النهاية على أن يتركوا لصفائيل بحث الموضوع على طاولة العلم فيما يخرج زلنبور على الناس ليهدئهم ويخبرهم أن هذا ليس عقاب ولكنه رضا من الرب عليهم، وعليهم ألا يذعروا وأن

يهدئوا. أتفق الجميع على ذلك، غادروا قاعة الاجتماع وكل منهم في حال، سلفادور قلق على حال البلاد ويخشى الفوضى، صفائيل متحمس حماس العالم لكل ما هو جديد ومثير، زلنبوريشتعل غضبً ا وكرهًا لصفائيل.

توجه زلنبور إلى قاعة المعبد الرئيسية، أعتلى المنصة الكبرى وأمسك بالميكرفون المركزي، ذلك الميكرفون الذي يلقي فيه عظته الأسبوعية لشعب تاهيمنس، يسمعه أهل الجزيرة جميعًا فما من شارع أو طريق يخلو من سماعات كبيرة وشاشات عرض عظيمة يعرض عليها أهم أخبار الجزيرة ومنها العظة الأسبوعية للمعظم زلنبور كبير الكهنة. صمت برهة حتى أستجمع أنفاسه وأفكاره ثم فتح الميكرفون....

" بسم الله والمجد لله في الأعالي وبركته مطروحة في أصفيائه في الأرض (كهنته وحكام عباده)، بسم الرب الجواد خالق العباد والأشياء وجميع الكائنات، المدر بنعمه علينا، بسم الرب الحامي والحارث، بسم الإله الذي فاق كرمه الخيال.

أخاطبكم اليوم يا أخوتي في ظرف استثنائي في موعد غير موعدنا الأسبوعي بسبب ما يحدث في الجزيرة، أرض الرب، وحاضنة شعبه المختار، ظرف استثنائي هو اختفاء المرض، ولسوء الحظ فلقد سبقتني الصحف في الإعلان عن هذا الحدث الجلل. في الليلة السابقة للإعلان بليلتين رأيت رؤية عظيمة وبشرى كبيرة، رأيت....رأيـ....، أعذروا بكائي يا أخوتي وتأثري أن الأمر بحق جلل، فكلما تذكرت تلك الرؤية أقشعر جسدي وارتعدت مفاصلي وسالت دموعي من هول ومجد ما رأيت، الحق أقول لكم وما أقول إلا الحق أني رأيت.....رأي..... أني رأيت الله....أني رأيت الله، نعم جاءني

الله في منامي، رأيتني أسجد تحت عرش القدرة، رفعت رأسي فوجدت الرب، ارتعدت هلعًا فأبتسم لي مطمئنا وقال أبشر يا زلنبور وأنقل البشرى لعبادي المخلصين أني قد عفوت عنكم ورضيت، وأذهبت عنكم البلاء المسمى بالمرض، فلن يمرض منكم أحدًا بعد اليوم، تعجبت وسألت كيف هذا؟ تبسم لي الرب ثانية وقال أستيقظ وأبشر وبشر عبادي، استيقظت وأنا خائف أتصبب عرقًا لا أعرف ماذا أفعل، ألجمتني الصدمة فلم أستطع البوح بعد أن أخرستني الرهبة، لكن اليوم تغلبت على كل شيء وجئت لأبلغكم، أبشروا يا شعب الله فلقد رفع الرب عنكم البلاء، فلا مرض اليوم ولا موت بسببه، أشكروا الله وقدموا القرابين أجلال له وشكرًا على نعمته."

أنهى كلمته وأغلق الميكرفون، راحت الجموع التي كانت تستمع باهتمام كبير ما يقال يحتضنون بعضهم البعض فرحين في الطرقات والشوارع والبيوت، راحوا يصدحون بالأغاني ويعترفون بالمن للإله على نعمته.

في المساء كانت قد هدأت الأجواء وزال التوتر عن جموع الشعب، راحوا يتوافدون أفواجًا على المعبد لتقديم القرابين للرب ليجودوا بما لديهم ردًا على جود الرب عليهم، ذهب، أموال، ماشية، أطعمة، قدم كل شخص ما يستطيع تقديمه، وقبل أن يعودوا إلى منازلهم لم ينسوا تقبيل يد المعظم زلنبور والتبرك بالبصاق المقدس.

في أحد أركان المعبد المظلمة أنزوي صفائيل مبتعدًا عن الأنظار وهو يضحك ويحدث نفسه عن كم هو بارع المعظم في الكذب وشديد المكر والدهاء في خداع الناس، أغلب رجال الدين في رأيه هكذا، مجموعة من المخادعين الكاذبين المتسترين خلف

عباءة الدين والدين منهم بريء، نزعه من ضحكاته وحديث نفسه صوت هاتفه، أخرجه من جيب قميصه ليرى من المتصل، كان مساعده خان يتصل، أجاب.. ماذا هناك؟...ارتسمت علامات الدهشة على وجهه، سقط الهاتف من يده، وخان مازال يتكلم، ينادي عليه، استفاق صفائيل من غفلته، أمسك هاتفه مرة أخرى.... كيف حدث هذا؟ كيف لهذا أن يحدث من الأساس؟ هذا مستحيل علمياً....لا لا تفعل شئ أنا قادم في الحال، أغلق الهاتف وهرول خارج المعبد متوجه إلى المعمل.

زاد السُكر بعد شرب بضع كؤوس تكيلا

الأبدية حلم البشر منذ الأزل، لطالما سمعنا في كتب الأولين عن الملوك والعلماء والفلاسفة الذي حلموا وسعوا ناحية الخلود.. جلجامش العظيم سليل الإلهة سافر في رحلة صعبة للحصول على الخلود ولم يحصل عليه، أغلب البشر يبحثون عنها.. من يسعى ناحية أبدية معنوية أن يبقى حيا بعد موته وتخلده أعماله وانجازاته، ومن يبحث عن أبدية مادية يخلد فيها بجسده..المؤمنين والملحدين يبحثون عنها، الملحدين يبحثون عن أبدية تطيل أعمارهم في تلك الدنيا لأنهم لا يؤمنون بحياة أخرى..والمؤمنين يلجمون أنفسهم في الحياة الدنيا ليحصلون على الأبدية بعد الممات.. منعمين في الجنة..ينظرون إلى الحياة بنظرة عدمية يزهدون في كل متاعها ورفاهيتها منتظرين الموت يمنون أنفسهم بتلك الأبدية الخالدة. هل ترانا يا سيدي الرئيس قد حصلنا على الأبدية بلا مشقة ولا تعب ولا بحث منا عنها؟ هل بالفعل قد من الله علينا بها كما قال المعظم زلنبور أم هو بلاء من الإله ليختبرنا؟

تنحنح سلفادور متحيرا قبل أن يجيب على مساعده وصديقه دالي....

حتى الآن الوضع ضبابي يا صديقي لا نعلم كنهه، ما يحدث حقا هل هو فعلا الأبدية الخالدة حلم البشر أم هو مرض قد قضى على كل مرض غيره؟ وإن كانت الأبدية فهل البشر يستحقون تلك الأبدية؟ هل هم مستعدون لها؟ هل سيستوعب البشر أنهم أصبحوا كالإلهة خالدين لا يفنون؟ إن الأمر صعب..صعب للغاية، لكن حتى الآن ليس

بين أيدينا شئ نفعله، سوف ننتظر نتائج أبحاث صفائيل ومن ثم نقرر ما سنفعله وفي تلك الأثناء عليك الحرص على استمرار حالة الهدوء بين المواطنين، وعليك بإعادة تفعيل نظام الجاسوسية مرة أخرى أريد أن أعرف كل كلمة تقال عن هذا الأمر.

****

كانت إليزابيث وخطيبها يجلسان مع والدها في غرفة المعيشة..غرفة واسعة تتكون من أريكتين وأربعة كراسي تتراص في شكل نصف دائري في وسطهم منضدة صغيرة وتكتمل الدائرة بشاشة تليفزيون عملاقة. راحا يحدثانه بفرحة مشوبة بالقلق وعدم الفهم وروبن واجم لا يتحدث بعد ما حدث له، بعد أن عاد من شبه الموت، لا يتحدث ولا ينبث ببنت شفة فقط يحدق في الفراغ..في اللا شيء..يبدو كأنه لا يسمع حديث أبنته ولا يراهم، حاولت إليزابيث مداعبته ببعض النكات التي يحبها وكان دائم الاستماع لها وإلقائها على مسامع الجالسين معه لكنه لم يستجب، أخبرها خطيبها أنه ربما يعاني من صدمة فما حدث ليس باليسير، لا يعود المرء من الموت كل يوم..بل لا يعود نهائياً، حاولت قدر المستطاع أخراج أبيها من تلك الصدمة وذلك الشرود لكنها لم تستطع، ظلت وخطيبها جالسان أمامه على أريكة كبيرة وهو يجلس في المقابل منهم على كرسي، راحا يتهامسان بصوت خافت..

– لماذا سأعيش الآن؟....قال روبن

ألتفت إليزابيث إلى أبيها فرحة متفاجئه..هرولت ناحيته..جلست أرضا أسفل قدميه واضعة يدها على ركبتيه...

– ماذا تقول يا أبي؟

نظر إليها والدها بنفس الشرود في عينية

– لماذا سأعيش الآن؟ لماذا سأبقى على قيد الحياة؟

– لا أفهم ما تعنيه يا أبي! يكفي أنك ستبقى معنا نحن أحبابك ولن ترحل

– لا يا أبنتي هذا لا يكفي، لقد كنت متدين منذ طفولتي..فلقد نشأت في منزل معبأ بالإيمان والرموز الدينية وأصوات صلوات لا تنقطع وبصاق مقدس أتبرك به كل يوم صباحًا ومساء، نشأت مؤمنًا أن هذه الحياة الدنيا ليست سوى اختبار..هي طريق وممر، نأتي من العدم بإرادة الله الحرة، دون أي إرادة منا وأُمرنا من قبله – رغم عدم أخذ رأينا في ذلك – بأن نسير في هذا الطريق حتى نصل إلى نهايته لنحاسب على سيرنا ذلك، نحاسب حين نصل إلى النهاية ومستقرنا فنخلد في جنة أو نار..نعيم أو جحيم، ذلك المستقر نصله بالموت لا طريق له سوى ذلك..ليست تلك هي الحياة ولكن الحياة التي أعرفها ونشأت على معرفتها تأتي بعد الموت بجوار عرش الرب وما الدنيا إلا ممر وطريق، لهذا كنت زاهدًا في الدنيا ولا أرغب في متاعها لأنه لن يفيدني، كنت أنتظر النهاية وخلال ذلك لم أكن أخذ منها إلا ما يقويني ويجعلني أبقى حيا حتى يأتي الموت، أما الآن وبعد ما قاله المعظم زلنبور عن الأبدية فلماذا سأحيى؟ لماذا

سأبقى في هذه الدنيا؟ هل كتب علينا أن نبقى سائرين إلى ما لا نهاية؟ أي طريق هذا الذي لا نهاية له؟

صمتت إليزابيث والتفتت إلى خطيبها الذي لاذ بالصمت بدوره، طأطأت رأسها لثوان ثم رفعتها، وحين همت بالحديث إلى والدها وضع يده على فمها وقال لها لا تحاولي الإجابة أو التبرير فلا إجابة ولا يوجد تبرير يجدي في هذا، إن كانت الأبدية حقيقة فهي ليست نعمه كما قال المعظم ولكنها عذاب حاق بنا هي غضب الرب....

قال ثم قام واقفًا ذاهباً إلى غرفته وأغلق الباب خلفه، نهضت إليزابيث وجلست بجوار خطيبها وبعد صمت دام لدقائق قالت له أخشى أن والدي محق فكلامه منطقي جدًا..

– هذا ما أخشاه أنا أيضا

****

دخل صفائيل إلى المعمل متعجلًا ليجد مساعده خان في انتظاره وعلامات القلق والحيرة مرتسمة على وجهه، ترتعش أطرافه في توتر واضح، نظر إليه صفائيل في تساؤل للحظات ثم تركه وذهب ناحية الزجاج العازل الذي يعزل غرفة الإدارة عن قاعة الأبحاث ليجد برادلي يجلس مرتعشًا على كرسي كبير وأسلاك الأجهزة الطبية تتدلى من كل منطقة في جسده، ألتفت صفائيل إلى خان مجددًا...

– ما هي حالته الطبية؟

– لا شيء

- ما معنى لا شيء؟ أريد شيء، لا شيء ليست إجابة.

- ولكنه بالفعل لا شيء .. لقد استلمنا جثة برادلي منذ ستة أشهر مع تشخيص وفاة بسكتة قلبية مفاجئة أثناء حادثة سير مع والديه وزوجته وأولاده، لم يصب بأي خدش جراء الحادثة لكن التقرير الذي جاء مع جثته قال أنها سكتة قلبية نتيجة خوف شديد، ولقد مات في نفس الحادثة كل من كان معه ولكن بسبب إصابات متنوعة جراء الحادثة، ولكننا فوجئنا اليوم بنشاط مفاجئ في قلبه رصدته أجهزة حوض الحفظ الموضوع به، سارعنا في أخراجه وفحصه طبيًا لنجد أنه لا يعاني من شيء، جاءت كل الفحوص سلبية، قلبه كقلب شاب، ولا يوجد به أي أمراض، هو حي بالكامل، سارعت في الاتصال بك ولم أفعل شيء كما أمرتني منذ ذلك الحين.

- ما التفسير الأولي لما حدث؟

- هنالكاستنتاج وحيد توصل إليه فريق البحث حتى الآن، وهو أنه لم يمت فعليًا ولكنه أصيب بصدمة أدت إلى انخفاض نبضاته ودقات قلبه لكنه لم يمت فعليًا وأخطأ الطبيب في التشخيص وأعتقد وفاته، ورسخ ذلك الاعتقاد وفاة كل من وصل معه إلى المستشفى في نفس الحادثة، ثم حين جاءوا به إلى هنا ساعدت محاليل الحفظ على حفظ حالته كما هي ولم يتغير، وحينما حل البلاء زال ما به من مرض وعاد إلى الحياة التي لم يتركها من الأساس.

مكث صفائيل نصف ساعة يطالع تقرير برادلي وتشخيص وفاته، وتقارير الفريق الطبي عن حالته بعد الاستيقاظ، يختلس النظر بين الفينة والأخرى إلى برادلي الذي أستعاد

رباطة جأشه وراح يجاهد ذهنه في محاولة لفهم ما يجري له وما قيل له من الفريق الطبي. وفجأة رفع رأسه وهو ينظر إلى برادلي وصرخ قائلًا

– لا..ستكون هذه طامة كبرى وستكون نهاية الجزيرة بأكملها بلا ريب.

نظر إليه خان فيما كان صفائيل يخرج هاتفه من جيبه في تسرع واضح ليطلب رقم سلفادور الخاص، أنهمك في انتظار إجابة سلفادور حتى أنه لم يسمع تساؤلات خان عن تلك المصيبة التي يتكلم عنها، رد سلفادور؛ فأخبره صفائيل أن هناك ما يجب أن يعرفه، يجب عليه مقابلته فهذا الأمر لا يناقش في الهاتف، أغلق الهاتف وراح يلملم أوراق التقارير وكل ما كان يقرأ فيه وغادر المعمل مسرعًا متوجهًا ناحية مقر الحكم ليقابل سلفادور.

****

دعا زلنبور لاجتماع طارئ على غير العادة لأعضاء المجلس المائة، في القاعة السرية المخصصة للاجتماعات بالمعبد والتي تقع في الطابق الخامس تحت الأرض، هي تلك الغرفة السرية التي لا يعرف عن أمرها أحد شيء سوى الكهنة فقط، ترأس زلنبور الاجتماع وهو بكامل زيه الكهنوتي وكامل زينته ممسكًا في يده بالكرة المقدسة، ولما أستقر الكهنة جميعهم في أماكنهم، كلًا في الكرسي المدون عليه أسمه، كان المعظم يسير ببطء حول المائدة وعلامات التفكير والإرهاق الذهني بادية على وجهه، كان قد دعا الكهنة للاجتماع بغية عرض الأزمة الحالية عليهم، وأعلام كهنته ومساعديه بما يطرأ، بدأ حديثه بالدعاء والصلاة في بطئ ووقار لازموه دومًا، وقار يليق برسول الرب

على الأرض، كان زلنبور يمثل هذا الدور بحرفيه تامة، أتقنه بسبب السنين الطويلة التي مارس فيها ذلك الدور، أتقنه حتى أنه بات يصدق نفسه أنه بالفعل رسول الرب والمكلف بمراقبة شئون الرعية من قبل الخالق، بات يصدق حتى أنه نسى أن كل هذا مجرد تمثيل وخداع للشعب بغرض السيطرة عليهم وعلى عقولهم عن طريق اللعب على عواطفهم الدينية، هذا هو قانون الكذب الأعظم، أكذب ثم أكذب وتعمق في الكذب حتى يصدقك كل من حولك، ثم أكذب وتعمق حتى تصدق نفسك ويصبح الكذب حقيقة واقعة، نسى أن الله لم يختار من يتكلم باسمه. وما إن فرغ من صلاته ودعائه حتى توجه بالحديث إلى رجاله...

– إن ما يحدث الآن في هذه الجزيرة المباركة – أرض الرب – لم يحدث من قبل، هذا بلاء عظيم لم نرى مثله ولم نسمع عنه حتى في كتب الأولين ولا في أساطير السابقين، ولكن المشكلة الحقيقية ليست في ذلك البلاء..لكن المشكلة الحقيقية في ذلك الصراع المشتعل بين طرفيين والذي لن ينتهي إلا بفناء أحدهم، صراع خفي يدور في النفوس ولا يظهر منه شيء أمام الناس ولا حتى يقر الطرفيين بوجوده، صراع بيننا نحن الكهنة أهل الدين وبين صفائيل ذلك العالم الدنيوي الحقير، لو أستطاع صفائيل أن يحل تلك الأزمة ورفع البلاء عن الناس، أو أوجد حل يستطيع من خلاله البشر تقبل الأمر والتكيف معه سيكون هذا بمثابة إعلان بموتنا، فلن يصدقنا الناس مرة أخرى وسيصدقون صفائيل لأنه هو من قام بحل تلك المعضلة، أما إذا سيطرنا نحن على الوضع فسيحد هذا من نفوذ صفائيل وسيجعل مصداقيته في اضمحلال مستمر، لأننا سنتضخم أمام

العامة حتى لن يستطيعون رؤيته، سيكون حينها وأفكاره طوع أيدينا، ما نوافق عليه سيتقبله الشعب وما نرفضه سيرُفض بإصرار وإجماع، ولكن يجب أن تعلموا أن الحرب على أشدها وسلفادور ليس في صفنا، وأن عدونا ذكي وماكر شديد الدهاء متقد الذكاء لن يمكننا التغلب عليه بسهولة، لذا يجب أن نعمل بكل طاقتنا وعلى مدار الساعة، هو يملك الذكاء ولكننا نملك الرب.

تعالت الصيحات من الكهنة جميعًا..المجد لله في الأعالي، المجد لله في ظلمات الليالي..المجد لله في كل وقت..المجد لله وحده وبغيره لا نبالي.

- عليكم بكثرة الحديث مع مرتادي المعبد، وتنظيم رحلات إلى البيوت والأسواق وأماكن التجمع، وليكن حديثكم كله حول ذلك البلاء الذي حل بنا، شددوا على الناس بالصلاة والدعاء وشكر الرب على نعمة التي أنعم بها علينا، لا تذكروا أن هذا بلاء بل قولوا نعمة من الله كما ذكرت في خطبتي، حتى إذا جاء صفائيل يومًا وأدعى وجود علاج يرفضه الناس جميعًا لأنهم سيعتبرونه تعدي على الله ورفض لنعمه، ذكروا الناس بتلك الحكايات التي تتوعد رافضي نعمة الله، أخبروهم كيف أنتقم الله ممن رفض نعمته وكيف أنزل بهم شر العذاب وأنتقم منهم أشد انتقام، وإن لم تجدوا حكايات ابتكروا مواقف وحكايات جديدة وقولوا أنها حدثت فيما مضى هي ضعيفة السند لا يعتد بها في حكم لكنها تأخذ كفضيلة، لا تجعلوا هناك بريق أمل لصفائيل أن يجد علاج، وإن وجد يقتله العامة برفضهم له، يجب أن نسبقه بخطوة دائمًا فحجته قوية ودائمًا ما يصيب حكمه عين الصواب.

أنهى زلنبور كلامه، لم يعطي لغيره من الكهنة فرصة لطرح وجهة نظره، وحده من يأمر وجميعهم يطيعون، أمرهم بالبدء في تنفيذ كلامه فورًا حال صعودهم إلى المعبد، أنهى الاجتماع وصرفهم إلى أعمالهم بعد أن دعا وصلى وأمنوا هم على صلاته ومجدوا ألههم في الأعالي وفي ظلمات الليالي.

جلس زلنبور وحده بعد انصراف الجميع شاردًا مفكرًا في الأمر وما يحدث وفي مصيره لو أنتصر عليه صفائيل..الأمر صعب للغاية، سوف يخسر كل شيء..المال والجاه والسلطان والنفوذ، بل سيخسر حياته نفسها، الناس تغفر لرجل العلم إن اخطأ، ففي النهاية هو لم يخدعهم، لكنهم لا يتسامحون مع من يخدعهم ويتلاعب بعقولهم ويجعل منهم أضحوكة رغم علمهم الشاسع، ولو كان من خدعهم رجل دين لن يسامحونه وسيقتلونه، فاللعب على العاطفة سيكون جزاءه عاطفي جدًا أيضًا، بالإضافة أن إلى أن رجل العلم كلامه بشري بحت، نتاج عقله الخاص، أما هو فلا يتكلم إلا باسم الرب، إذا أخطأ سيكتشف الناس كذبه وخداعه. بداخل عقله فكرتان تتصارعان، أحداهما تقول أنه رسول الرب على الأرض وأنه لا يخدع هؤلاء البشر لكنه ينفذ مشيئة الخالق في خلقه، ويجب عليه ألا يخاف فمن كان خلفه الله فلا يهزم أبدًا، والأخرى تقول له أن لا يصدق نفسه، فهو مجرد مخادع كاذب يستغل أسم الله لمصالحه الشخصية وبغرض النفوذ والجاه والسلطان، لا رسالة معه ولا أمر من الله له ولا شيء لديه سوى الخداع والكذب. وفيما كانت الفكرتان تتصارعان، هاجمتهم على حين غرة ذكرى من أعوام كثيرة مضت، ذكرى قديمة عفا عليها الزمن حتى كادت أن تُنسى وتندثر لكنها عادت الآن لتظهر وبقوة، ذكرى أخر حديث جرى بين زلنبور التاسع

ووالده المعظم زلنبور الثامن الذي كان بدوره كبير الكهنة قبل أن يموت ويورث الكهنوت لوحيدة، وقبل أن يداهمه الموت بأيام معدودات حكا لأبنه ووريث كهنوته قصة كان قد قصها عليه جده، وورثها جده من جد جده، ويعود أصل تلك القصة إلى جدهم المعظم زلنبور الأول.. أول كبير كهنة على الجزيرة كما تقول الوثائق ومن أوائل مؤسسي الجزيرة وقاطنيها، تلك القصة التي كان يحكيها الأب لأبنه شفاهة قبل أن يموت بقليل، تحكى ولا تكتب وغير مسموح بتسجيلها، تحكي عن الكهنوت ورجاله والمعبد ومن بناه وكيف بدأ كل ذلك.

الإفاقة من التكيلا و السُكر بخمر المنفعة

خرج صفائيل متعجلًا ناحية سيارته القابعة أمام مقر عمله، ركبها سريعًا والقلق يعصف به، حدد لها وجهتها عن الطريق لصق جهازين صغيرين على جبهته، جهازين مشابهين لأجهزة رصد ضربات القلب، لكنها كانت مخصصة لقراءة العقل، تعمل السيارات عن طريق المخ، يرسل المخ الإشارات فتترجمها السيارة وتذهب إلى الوجهة التي يحددها لها، كان متجهًا إلى مقر الحكم لمقابلة سلفادور. كانت عادته أن يقود ببطء العالم الوقور، يحب أن يتفحص أوجه المارة من حوله، وجوه البشر مازالت كما هي، كما أعتاد عليها، نمطية مستكينة للروتين اليومي، راح يفكر في طريقة الحياة على الجزيرة، تعمل الجزيرة بنظام شديد صارم، النظام هو الحل لعبثية الكون وعبثية البشر، الكون عابث وغير مهندم، مليء بالعيوب، والبشر كذلك، وقمة العبثية فيه هي أنه حتى الآن لا يعرف هو أو غيره بشكل مؤكد كيف تكون الكون، كيف نشأ كل هذا ومن ماذا نشأ، لقد سمع من والده قصة الجزيرة وكيف جاء الأوائل وقطنوها، لكن القصة مبتورة، لا يعرف أحد بدايتها الصحيحة، أين كانوا قبل الجزيرة؟ سمع من قبل قصص الأولين عن السفينة التي جاءت من اللا مكان لكن بعقل العالم كان غير مصدق لهذه الرواية وأعتبرها أسطورة قديمة يمررها العامة والجهلاء وأخترعها شخص ما ليصل إلى غرض معين. في أحد مراحل حياته سخر عقله وجهده بالكامل لسؤال واحد فقط، سؤال وجودي ملح، أيهما الأجدر بالبحث أهو لماذا أم كيف؟ لماذا نشأ الكون وما الغاية من

وجودة وما الهدف الأسمى للبشر، أم كيف يعيشون فيه وما هي أفضل طريقة ليتعايش البشر مع الكون بسلام دون أن يضر أحدهم بالأخر دون أن يتطرقوا لكيفية نشأته؟ في النهاية أستسلم للكيف وترك لماذا إلى الأبد، أستسلم حين لم يجد نظرية مؤكدة تقنعه بجدوى الحياة، قرر أن يحيا حياته كلها لتحقيق الكيف بعلمه وعقله وإبداعه، الحياة قصيرة ولن نصل إلى إجابة شافية لجدواها فهي أقصر من ذلك، ماذا لو كانت الحياة لا تريد الإفصاح عن معناها وجدواها؟ حينها لن يستطيع أرغامها على البوح بمكنونها ولا سبر أغوار غموضها، فهو في النهاية كائن متناه محدود له بداية وله نهاية أما الحياة فطويلة مديدة بدأت قبلة لا يعرف متى، ولا يعرف متى ستنتهي ولا يعرف إذا كانت ستنتهي من الأساس أم هي سرمدية باقية، قرر أن يخترع جدوى لنفسه وغاية، غايته هي الخلود، سيخلد نفسه بعمله واختراعاته وأعماله التي ستبقى شاهدة عليه حتى بعد موته، أوهم نفسه بتلك الجدوى، وسكر بخمر الوهم.

كان هذا ما يدور في عقله أثناء قيادته السيارة قبل أن يفيق من تفكيراته ويعطي عقله

إشارة توقف مفاجأة للسيارة بكل قوة حين أوشك أن يصدم أحد المارة، توقف قبل أن يصدمه بلحظات، ترجل من السيارة مسرعًا ليطمئن على ذلك الرجل، لكنه لم يصبه سوء، ولم يخف صفائيل من ثورة الرجل في وجهه، فلقد كانت الجزيرة تنعم بالأخلاق الحميدة، كل أهل الجزيرة أخلاقيين مسامحين، حين لم يحدث للرجل مكروه أبتسم في وجه صفائيل وتبادلوا عبارات الود وأنصرف الرجل ليعود هو ثانية إلى سيارته ويدير محركها ليكمل طريقة، ولكن ما إن ركب وبدأت السيارة في التحرك حتى قفز إلى ذهنه سؤال مفاجئ، ماذا لو كان يسير بسرعة كبيرة وصدم الرجل بالفعل، هل كان

سيموت أم سيشفى سريعًا ويبقى حيًا؟! شرد قليلًا بذهنه الذي أشتعل مفكرًا في ذلك السؤال، ظلت تدور في رأسه أجوبة محتملة متعددة حتى وصل إلى مقر مكتب سلفادور، ترجل من سيارته بعد أن أوقفها في المكان المخصص لكبار الزوار، صعد إلى مكتب سلفادور ليجده ينتظره في قلق وتوتر بادي على وجه، صافحه سلفادور ثم أقتاده إلى غرفة الاجتماعات السرية، بادره سلفادور متسائلًا...

- ماذا هناك يا صفائيل؟ لقد أقلقتني مكالمتك.
- قص عليه ما حدث في المعمل وقصة برادلي الذي أفاق من الموت كاملة، نقل إلية توجسه المخيف حول المرض الذي شفى المرض، هل يشفي المرض فقط أم يشفي الأموات أيضًا؟

اتسعت عينا سلفادور دهشة، هز رأسه يمينًا ويسارًا كأنه يحاول استيعاب ما يقول صفائيل...

- هل هذا ممكن الحدوث؟
- وهل ما نحن فيه كنا نعتقد في أحلك كوابيسنا أنه ممكن الحدوث؟ نحن في ظرف استثنائي لا يخضع للمنطق، ومن المنطق أن تتعامل بلا منطق مع الأمور الغير منطقية، في الحقيقة هذه فكرة طارئة ونظرية سأضعها محل الدراسة، لأني ليس لدي أي دلائل سوى حادثة برادلي الفردية ولكن الأمر جلل يستحق أن أعرضه عليك على الفور، هناك قضية أخرى أكثر أهمية وأكبر حجمًا، حقول الطاقة التي تغذي المدينة كلها وقبة الطاقة والتي تعمل بأجساد البشر، البشر

الآن لا يموتون فمن أين سنأتي بالطاقة بعد أن ينتهي ما لدينا من مخزون بشري، هذا على افتراض أن الأموات لن يستيقظوا

- لم أفكر في هذا الأ مر من قبل...قال سلفادور متلعثمًا قلقًا
- ستكون هذه طامة كبرى، سيعيدنا هذا إلى عصور النفط والطاقة الملوثة، سيعود بنا قرون إلى الوراء هذه كارثة أكبر من كارثة اختفاء المرض رغم أنها مترتبة عليها
- لماذا لا نستخدم جثث الحيوانات؟
- جثث الحيوانات لا تعطينا القدر الكافي الذي نستخرجه من البشر، حتى لو فعلنا هذا مع بعض الترشيد في الاستهلاك، ماذا لو كانت الحيوانات لن تموت كما البشر؟
- نقتلها.....قالها بتلقائية
- أليس هذا أمر غير أخلاقي يا سلفادور؟....قالها بنبرة خبيثة مستهزئة
- أخلاقي بالنسبة لمن؟ لنا نحن البشر أم للحيوانات؟ فكر معي، هلاك البشر أم هلاك الحيوانات؟ نحن في ظرف استثنائي كما قلت أنت، فلتذهب الأخلاق إلى الجحيم الآن إذا كانت ستتسبب في خسائر للبشر!!

هنا أبتسم صفائيل ابتسامة ذات معنى قبل أن يرد..

- أتفق معك، الأخلاق ما هي إلا مجموعة من القواعد والقوانين وضعها البشر بأنفسهم واتفقوا عليها لتحقيق مصالحهم الخاصة، وتحقيق أفضل طريقة للتعامل فيما بين بعضهم البعض، قوانين وضعت في البداية لمصلحة البشر، ولو لم يتفق

عليها البشر أنها صالحة وأنها خيرة ما كانت كذلك، ويحكم البشر على خيريتها من عدمها بناء على ما ستحققه لهم من منفعة عامة، لكن إذا تغير الظرف والحال الذي وضعت فيه تلك القوانين فمن البديهي أن تتغير القوانين لتلاءم الظرف الجديد وحياة البشر الجديدة، فلا شئ ثابت أو خالد. لكن هذا الحديث سابق لأوانه، فمن المحتمل أن نصل إلى حل لمشكلة المرض قبل أن نقع في تلك الأزمة.

- لا يا صديقي الأخلاق هي مجموعة من القوانين وضعها الأقوياء وأصحاب السلطة ليتحكموا في العامة والضعفاء لا أكثر، لكن هذا ليس موضوع حديثنا الأن، عليك باتخاذ كل التدابير ووضع كل الاحتمالات الممكنة، وخطط مواجهتها إن حدثت بالفعل
- سأفعل ذلك

أنهى صفائيل حديثه ثم غادر متجهًا إلى سيارته مرة أخرى، أدار محركها وتحرك ذاهبًا إلى حدود الجزيرة الغربية، تحديدًا إلى مقر أقامة جماعة أنصار الطبيعة..كانت جماعة أنصار الطبيعة جماعة متمردة على قوانين الجزيرة ونظامها العام، لم تكن تلك الجماعة تحظى بانتشار كبير بين أهل الجزيرة فقلة نادرة هي من تقتنع بأفكار تلك الجماعة، قلة لم تصل إلى مئة فرد، كانت تلك الجماعة تقدس الطبيعة ونعتها بالأم المؤسسة، كانوا يقولون أن الطبيعة هي مصدر كل شيء وأنها هي من أتت بهم إلى الجزيرة، يرفضون كل مظاهر التمدن وكل ما يتعلق بالتكنولوجيا، يعيشون حياة بدائية، يركبون الخيول ويطهون الطعام على النار في أواني فخار ويرتدون أوراق الشجر وجلود الحيوانات النافقة،

يكرهون أهل الجزيرة ويبادلهم أهل الجزيرة الكره، ولأنهم قلة فقرروا أن يعزلوا أنفسهم بعيدا عن الفساد المتمثل في المدنية ومظاهرها وحتى لا ينالهم غضب الطبيعة حين يحل، يرحبون بكل منضم إليهم لكنهم لا يسعون لنشر معتقدهم، الطبيعة هي من تختار من يؤمن بها، كان من أهم أفكارهم حب الموت، يسعون للموت حتى تحظى أرواحهم بالعودة إلى الأم والانضمام إليها ومصاحبتها، حتى أنهم كانوا إذا وصل المرء إلى سن السبعين عامًا ولم يمت يقتل نفسه بنفسه بالسم حبًا في الموت ورغبة في رفقة الأم، يؤمنون أن الطبيعة تبدأ الحياة وتنهيها والأرواح الميتة تبقى لديها حتى إذا انتهت الحياة تعيدها مرة أخرى بأمر الله..خالق الطبيعة ويبدأ نشأ جديد، يكرر ما حدث بالتفصيل.

كان صفائيل ذاهبًا إلى هناك ليسأل عن متى مات أخر واحد منهم أو قتل نفسه ليتأكد من تلك الفكرة التي واتته حين كاد أن يصدم الرجل. وصل إلى مقر أقامتهم، وجد في وجهه ثلاثة خيام توجه إلى الوسطى المزينة بعلم أخضر من الأعلى..خيمة سيد الجماعة..كان أهل الجماعة يكرهون صفائيل كرهًا جم، كره يعادل كرههم للبشر جميعًا، لأنه – من وجهة نظرهم – أكبر عدو للطبيعة بسبب اختراعاته ومجونه التكنولوجي، ما أن رأوه حتى شهروا في وجهه رماحهم وسكاكينهم الحجرية والمصنوعة من أفرع الشجر ، رفع يديه لأعلى في ثبات مستسلمًا وهو يتحدث..

– لم أتي إلى هنا مهاجمًا، جئت لأقابل جرين سيد الجماعة في أمر يتعلق بأفكاركم وجماعتكم.

سمعه من داخل الخيمة جرين؛ فخرج إلية مشيرًا إلى حراسة بأن يخفضوا أسلحتهم

- ماذا تريد أيها الملحد عدو الطبيعة؟

- لن أطيل عليكم وأحاول أن أكتسب ودكم، فنحن أعداء وسنبقى كذلك، بالتأكيد سمعتم عن ما حدث في الجزيرة من اختفاء للمرض، وأعلم بأن قوانينكم تلزمكم بقتل نفسكم بالسم، جئت لأسال عن متى انتحر أخر واحد منكم؟

- ليس انتحارًا بل هو صميم أيماننا، كان هذا من فترة كبيرة، قبل ظهور تلك المصيبة التي حاقت بنا بسبب أفعالكم ومعاداتكم للطبيعة

- هل جرب أحدكم أن يشرب السم ليعرف هل سيموت أم سيشفى جسده؟

- لا، نحن لا نقتل أنفسنا إلا في سن معين فهذا منافي للأخلاق ولتعاليمنا

أقترب منه صفائيل وهو يحدثه بنبرة عاطفية...

- ماذا لو شرب واحد منكم السم ولم يمت؟ ماذا لو شفي جسده من السم قبل أن يموت؟ ماذا ستفعلون حينها؟

صمت جرين للحظات مفكرًا، ثم نظر إلى صفائيل في حيرة

- ماذا تريد؟

- أريد متطوع من جماعتكم محب لإيمانه ويرغب في الاجتماع بأمكم سريعًا ليشرب السم لنكتشف ماذا سيحدث

- لا لن يحدث ذلك، لن نخالف أخلاقنا وتعاليمنا

– الغاية تبرر الوسيلة يا صديقي المؤقت، لو لم تموتوا لن تذهبوا إلى الأم، لن تحظوا بالنعيم، أنا هنا الآن لأساعدكم، بعد ذلك لن أكون موجود

يتنطع البشر بالقول بحبهم للأخلاق حتى تتعارض مع مصلحتهم أو رغباتهم، حينها يلقون الأخلاق أرضًا.

أرسل جرين في طلب راموس أحد الشباب الأكثر إيمانًا في جماعته، أخبره أنه سيذهب إلى الأم الآن، أبتسم راموس فرحًا وقبل يد سيده دون أن يسأل عن سبب تسريع العملية، لا أسئلة فسيد الجماعة يعرف الأصلح دائمًا.

راح أفراد الجماعة يجهزون الاحتفال والمراسم، أشعلوا النيران وفرشوا الأرض بأوراق الشجر، قرعوا الطبول في وقار مهيب، جلس راموس مقرفصًا في منتصف حلقة من الرجال ممسكًا بإناء كبير مليء بالسم في يده، نظر إلى جرين مبتسمًا ثم تلا صلاته وتجرع السم رشفة واحدة، وضع الإناء بجانبه وأغمض عينيه، لحظات قليلة وفتح عينية عن أخرهما وراحت عيناها تدور في محجريهما، استلقى على الأرض وهو يصرخ ممسكًا ببطنه متألما من أثر السم في أمعائه، راح يستغيث ويصرخ بقوة، والطبول يعلو صوتها ويتسارع قرعها، وأفراد الجماعة يهللون ويرفعون أغصان الشجر عاليًا فيما كان صفائيل يراقب في تركيز راموس وتشنجاته دون أبداء أي تعبير، فجأة توقف جسد راموس عن التشنج والارتعاش، هلل الحاضرين فرحين لكن فجأة هب راموس واقفًا..لم يمت..قاوم جسده السم ولم يمت، أسرع جرين ناحيته وراح يتفحصه بتوتر بالغ وذهول حاد ثم صرخ بخوف...

– مازال حي؟! تلك هي الطامة الكبرى لن نموت

سقط على ركبتيه صارخًا وراح يهيل التراب على رأسه

– أماه لماذا تخليت عنا.

ثم نظر إلى صفائيل بغضب عارم

– أنظر ماذا فعلت خطايكم وإلحادكم وتجديفكم؟ لقد تخلت عنا أمنا.. تخلت عنا وعنكم، لقد غضب واقتربت النهاية المأساوية، سنعذب جميعًا

قام من مكانه وأتجه ناحية صفائيل في غضب، لكن صفائيل بدا هادئًا، لم يتحرك وحين وصل إلية جرين تكلم في وجهه مباشرة بثبات

– ماذا لو ألقى نفسه من فوق ذلك الجبل....وأشار خلفه

توقف جرين ونظر إلى جماعته المحيطين به ثم إلى راموس الذي أشار له برأسه موافقًا.

صعد راموس بصحبة خمسة رجال إلى قمة الجبل، ووقف جرين وصفائيل ومجموعة أخرى أسفل الجبل، في المكان المتوقع لسقوط راموس، وصل راموس إلى القمة، ودون تردد ألقى بنفسه، راح صفائيل يراقب جسده وهو يسقط دون تأثر، لا يتأثر البشر بعذاب أو موت من يكرهون، أرتطم الجسد بالأرض محدثًا سحابة من الغبار، حين هدأت توجه صفائيل وجرين إلية، كان مدرج في دمائه محطم الجمجمة وعدة عظام أخرى، فحصه صفائيل..لقد مات.. إذا لقد اختفى المرض ولم يختفي الموت.

نظر إلية جرين متسائلًا فإجابة وهو يبتسم بسخرية..

– لقد ذهب إلى أمكم

هلل الواقفين ورفعوا أغصانهم ورماحهم إلى أعلى وراحوا يحوطون الجسد المسجي أرضا فرحين، فيما كان صفائيل يغادر المكان وهو يحدث نفسه..

– الموت موجود لكن المرض اختفى

عندما صُنعت الخمر

راح المعظم زلنبور يتذكر أخر لقاء بينه وبين والده المعظم زلنبور الثامن، ارتسم المشهد أمام عينه بينما كان جالس في حجرة الاجتماعات...

دخل زلنبور على والده المريض زلنبور الثامن الذي سمي على اسمه وسمي والده على اسم جده فقد كانت العادة هي أن يسمى الولد الأكبر باسم والده، كان المرض قد أشتد على الوالد وأصبح لا رجاء في شفاءه، أدرك أنه على شفا الموت، يفصله عنه بضع أيام أو بضع ساعات قليلة، وعندما أدرك ذلك أسرع في طلب ولده ووريث كرسي الكهنوت الشرعي، فلقد كان كرسي الكهنوت يورث، لم يكن يخضع للديمقراطية، الديمقراطية منهج عقلي بشري يصلح للبشر، أما الكهنوت فأمر ألهي، الكاهن هو رسول الرب على الأرض، يجلس على ذلك الكرسي من يختاره الرب، والرب يختار عن طريق الكاهن الجالس على الكرسي، فالكاهن يختار وريثه حسب أوامر الرب – أو هكذا يقولون – ، عندما دخل زلنبور على والده وجده طريح الفراش لا يستطيع الحركة ولا يقوى على الكلام إلا بصعوبة، جلس بجوار سريرة، نظر إلى والده بحزن وأغرورقت عيناه بالدموع، نظر إليه والده مبتسما وربت على فخذه بحنو بالغ وهو يحدثه...

– لا تبكي يا بني فذلك قانون الحياة الجبري الذي لا مفر منه، أودعك اليوم كما ودعني والدي من قبل وكما ستودع أنت ولدك بعد ذلك، لكن هناك ما يجب أن

تعرفه قبل أن أموت، لقد تربيت منذ صغرك على حياة الكهنوت، كنت أعلمك وأدربك حتى تصبح كبير الكهنة من بعدي، علمتك اللغة المقدسة وأسرار ديانتنا، لكن هناك ما لا يعرفه أحد غيرنا – نحن كبار الكهنة – لقد قام جدك الأول زلنبور بوضع أسس ديانتنا بعد أن تلقاها وحيًا من الله، لكنه وجد أن الدين كما هو غير كافي للسيطرة على البشر من قبلنا، سيجعلنا أسوياء معهم ولن يعطينا التفوق أو الصدارة، فأدخل بعض الخداع عليه ليحقق له السيطرة والمكانة المرجوة، نحن الكهنة لسنا متحدثين باسم الرب، لم يأمرنا الله بأن نقول ذلك، ولم يجعلنا يومًا متحدثين باسمه، لكننا نقول ذلك حتى نضمن خضوع البشر لنا، اللغة المقدسة التي نتحدث بها والتي تعلمتها أنت منذ صغرك ليست مقدسة، وليست لغة في الأساس، هي بعض الألفاظ التي لا معنى لها أخترعها جدك الأول ليضفي بعض الغموض على سر التواصل مع الرب، البشر يحبون الغموض وكلما كان الأمر أكثر غرابة وغموضًا وعصي على الفهم كلما قدسوه أكثر، لو أخبرنا العامة أن الله لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين عبده لاختفى دورنا وضاع نفوذنا وما عاد لنا نفعًا، فكان من الضروري أن يخترع تلك اللغة، أيضًا البصاق المقدس ليس مقدسًا، لكن يجب أن نقول لهم أننا أفضل منهم، حتى فضلاتنا أفضل منهم فتبقى بداخلهم الرهبة منا والتقديس لشخوصنا، إن لم يعتقد الإنسان أن رجل الدين أفضل منه في كل شيء وأمام الله أيضًا، فلن يقدسه ولن يطيعه، والطاعة العمياء مطلوبة للحفاظ على المكانة والنفوذ والسلطة، أحذر أن تتهاون مع العامة أو تتواضع فعليًا معهم، أظهر لهم الود المصطنع وارسم على وجهك

دائمًا الابتسامة الهادئة، لكن يجب أن تستمر بين الحين والأخر في إيصال مفهوم أنك أفضل منهم وأن قدسيتك من قدسية الرب، واحترامهم لك من احترامهم للدين، يجب أن يؤمنوا أنك أفضل منهم لأنك كبير الكهنة وسامع الرب. ولا تحسب أن هذا خداع مذموم حرمه الرب، لكنه خداع حميد، من الممكن أن لا تسميه خداع البتة، فهو لا يؤذي أحد، على العكس هو يحمي البشر، ويحمي سير الحياة، وينظم القانون فيما بينهم، بدون ذلك الخداع الحميد، لفقدنا السلطة على البشر والسيطرة عليهم، ولكثر عدد الملحدين والمتمردين، ولأندثر دين الرب، هذا ما فكر فيه جدك، وهذا ما ورثناه.

ارتسمت علامة التعجب على وجه الابن؛ فتوقف الأب عن الكلام وراح يسعل بقوة، أعطاه أبنه كوب ماء، أرتشف جرعة صغيرة منه ثم عاود الحديث....

– لا تتعجب يا بني، مع مرور الوقت ستعرف أن ما أقول هو الضامن الوحيد لمكانتك، وهو الشيء الوحيد الذي جعلنا نبقى كل هذه الأعوام، وجعل مكانتنا في ازدهار دائم، وأعلم أن عليك الحذر من أثنين، أولهم سلفادور لأنه بالتأكيد يعرف حقيقتنا كما عرفها جده الأول، فجده الأول هو أول من اكتشف حيلة جدك زلنبور لكنه لم يفصح عن شيء، فلقد كان طامع في السلطة، على مر العصور كنا نستخدمه ويستخدمنا، يستخدمنا للسيطرة على العامة، نحن – رجال الدين – دائمًا ورقته الرابحة جين تسوء الأمور، ونستخدمه في تهيئة الجو العام لنا لنمارس أفعالنا على العامة بحرية، لقد كان سلفادور الأول كذلك وبالتأكيد ورث هذا إلى أبنائه كما أورثك أنا ما أقول الآن، أما الثاني فهو صفائيل، فله

أيضًا أرث من الحكاية كإرثنا هذا، فهو سليل صفائيل الأول عدونا اللدود، هو لا يعرف الحقيقة مثلك أنت وسلفادور، لكنه ذكي، مبدع، صاحب عقل قوي كجدوده، ليس من العامة ولا يصدق بسهولة ولن يقتنع بك، وإياك أن تحاول إنشاء صداقة معه أو التقرب منه، هو باحث نهم عن الحقيقة، إن وجدها سيفصح بها لكل البشر، أبتعد عنه قدر الإمكان وكن غامض له قدر ما استطعت، أحذر سلفادور مرة وأحذر صفائيل ألف مرة، أحذر سلفادور فقط، لكن أكره صفائيل ولا تجعل نفوذه يكبر، حاول تحجيمه قدر الإمكان، فأن أستطاع أن يعلو على مكانتك سيدفنك أسفله. وأخيرًا يا ولدي ما سمعته لا يجب أن يعرفه أحد إلا وريثك وأنت على فراش الموت، حتى زوجتك لا يجب أن تعرف شيء، لا تتحدث به أمام أحد، ولا تدونه أو تسجله لكن أحفظه عن ظهر قلب، وإياك أن يكون لك أصدقاء، فأنت رسول الرب أسمى من كل البشر، أفعل هذا أضمن لك القوة والمكانة ودوام السيطرة.

أفاق المعظم زلنبور من ذكرياته بعد أن تذكر أخر كلمات والده، قام من مجلسه وراح يقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا وهو مطرق الرأس وعقله يشتعل بالتفكير في تلك الأزمة التي أحلت به..

– ياليتك كنت هنا يا أبي لتقول لي ماذا أفعل.

السُكر بالمرارة

بعد ثلاثة أيام من عودة برادلي من الموت، أو بالأحرى إفاقته من الغيبوبة، أطلق رجال المعمل صراحة بعد أن أنهكوا جسده تحليلًا وعقله أسئلة، بعد أن عرضوه على كل أجهزة الأشعة المعروفة لديهم، فلم يتركوا جزء من جسده إلا وفحصوه أكثر من مرة، بعد أن تأكدوا من حالته وأنه على خير ما يرام، راح خان يرد على استفساراته، أخبره بتلك الحادثة التي وقعت له هو وأسرته بالكامل، أخبره أن الجميع قد مات وكلهم الآن في أحواض الحفظ، طلب برادلي أن يراهم لكنهم رفضوا رفضًا مطلقًا، بعد أن أخبره خان سلمه تقارير الحادثة وتقارير فحوصه الطبية ثم أوكل لأحد سيارات المعمل مهمة توصيلة إلى منزله القديم، ما إن وصل إلى المنزل حتى ترجل من السيارة، راح يتلفت حوله، نعم هو يتذكر تلك المباني المتراصة بجوار بعضها البعض، كل المنازل متشابهة، مكونة من طابق واحد يوجد على سطحه خلية كبيرة لتجميع الطاقة الشمسية بغرض الاستخدام المنزلي كالطهي والاستحمام، أما التدفئة فلم يكن سكان الجزيرة بحاجة إلى التدفئة؛ فطقس الجزيرة دائما بأفضل حال بفضل قبة الطاقة. كان نظام الجزيرة يجبر كل مواطن أن يترك قطعة فراغ بدون بناء أمام منزلة يجعلها حديقة، وكانت أنواع الأشجار محددة يختار المواطن من بين المحدد سلفًا، كل البيوت من طابق واحد، أمامها حديقة بها أشجار متشابهة، حتى اللون كان كل الواجهات مطلية بنفس اللون..أبيض مائل للاصفرار قليلًا..حتى الرسومات الخارجية كانت متماثلة، يعرف كل

فرد منزله من خلال الرقم المدون على باب المنزل، كان 65 هو رقم منزل برادلي، لأول مرة يشعر برادلي بذلك الإحساس، الملل والرتابة..كل شيء متشابه، الألوان، البيوت، الحدائق، الحيوانات الأليفة، حتى الوجوه متشابهة، والآن الجميع خالدين لا يموتون. بينما كان كذلك، يقف متأملًا ما حوله في سقم بعد أن غادرت سيارة المعمل، خرج ميشيل جاره من منزله الملاصق لمنزل برادلي، حين رآه أبتسم فرحًا وتهللت أساريره، هرول ناحيته، أحتضنه بقوة...

- حمدًا للرب على عودتك يا صديقي..حمدًا للرب

كانت تربط برادلي وميشيل علاقة صداقة قوية منذ الصغر فلقد ولدوا وترعرعوا في نفس الحي، أبتسم برادلي ابتسامة مصطنعة لميشيل...

- كيف حالك يا صديقي؟
- بخير حال افتقدتك كثيرًا
- لن أستطيع أن أقول أني أفتقدك أيضًا فلم أكن أشعر بشيء

دعا ميشيل برادلي للدخول إلى منزله وتناول كوب من القهوة، لكن رفض برادلي بحجة أنه يريد أن يستريح قليلًا، لكنه وعده أن يذهب إليه في وقت أخر، ودعه ميشيل ثم غادر، أقترب برادلي من باب المنزل، أخرج المفتاح من جيبه، حين هم بوضعه في مكانه ليفتح الباب، توقف فجأة وهو ينظر إلى المفتاح، لقد كان مطبوع عليه أسم زوجته ليتا، ظل ينظر ويمعن النظر في المفتاح، أغرورقت عيناه بالدموع، وحين أدار المفتاح وفتح الباب أفلتت الدموع من عينيه، لقد رأى تلك الصورة المعلقة بعرض

الحائط المقابل للباب له هو وزوجته وولديه، أغلق الباب وراح ينظر إلى الصورة ويبكي بشده، بكى بحرقة، لم تعد قدميه تستطيعان حمله، سقط أرضًا، علا نشيجه، أسند ظهره إلى الباب وراح يبكي ويصرخ بألم..بكل ألم الدنيا، راح يبكي بقدر حبه لزوجته وأولاده، ومن بين دموعه وبكاءه تذكر وفاة والديه أيضًا، فزاد نحيبه وأرتفع صراخه، وتكاثفت دموعه، كان قلبه يعتصر ألًما، ظل يبكي حتى غلبه الإعياء والنعاس ونام مكانه.

لم يستيقظ من نومه إلا في المساء على صوت طرقات على الباب، قام من مكانه، مسح بيديه أثار دموعه على وجهه، فتح الباب ليجد صديقة ميشيل واقف أمامه ممسكًا في يده بعشر زجاجات من أجود الخمور وهو يبتسم..

– أعرف أنك حزين جدًا يا صديقي لكني لن أتركك تستسلم لذلك الحزن، أفسح الطريق

كان ميشيل يعرف غرفالمنزل جيدًا، نحى برادلي جانبًا توجه إلى غرفة استقبال الضيوف مباشرة، وضع زجاجات الخمر على المنضدة بعد أن نظفها من الأتربة المتراكمة فوقها ثم ذهب إلى المطبخ، غسل كأسين من الزجاج وعاد مرة أخرى، وجد برادلي واقفًا في نفس المكان الذي تركه فيه، ذهب إليه وجذبه من ذراعه متوجهًا إلى غرفة الضيوف ثانية، راح ميشيل يسكب الخمر في الكؤوس، يشرب كأسه ويعطي الأخر لبرادلي فيتناوله ويشربه دون أن يتكلم، لكن ميشيل لم يكف عن الثرثرة لحظة واحدة محاولًا أن يخرج صديقه من صمته وحزنه وينسيه ألمه، الحزن بادي على وجه

برادلي، يحتل كل قسماته، ظل يلقي على مسامعه النكات ويذكره بماضيهما معًا، أحداث الطفولة والمراهقة والشباب التي عاصروها معًا، لم يكف عن الثرثرة لحظة، لقد كان كثير الكلام منذ صغره، أما برادلي فكان كأن على رأسه الطير لا يتكلم، لا يتحرك، فقط يتناول كأسه، يتجرعه دفعة واحدة، ثم يعيده إلى ميشيل مرة أخرى، ظلا يشربان حتى فرغت كل الزجاجات وثمل ميشيل فسكت عن الكلام، عم الصمت لبعض الوقت قبل أن يتكلم برادلي..

– لمن سأعيش الآن ولماذا ومع من؟

هذا ما قاله برادلي لكن لم يسمعه ميشيل فلقد كان منتشيًا بخمره، طلب منه أن يعيد ما قال مرة أخرى، فأعاد برادلي سؤاله مرة أخرى، حاول ميشيل أن يتماسك قليلًا وهو يجيبه...

– عش لنفسك

– كانت هي نصف نفسي، وأولادي النصف الأخر

– ستتخطى تلك الأزمة وتحب من جديد وتتزوج وتُنجب

نظر إليه برادلي نظرة غضب عارم، غاضبة جدًا جعلت ميشيل يخاف ويعتدل في جلسته، حاول أن يتكلم، لكنه لم يجد ما يقول فالتزم الصمت، أردف برادلي...

– في الليلة المشئومة التي سبقت الحادثة وقبل أن نخلد إلى النوم، كنت أشتاق لها كثيرًا وكانت تشتاق لي، عزمنا على ممارسة الجنس قبل النوم، لكن الأولاد

أصروا أن يناموا بجوارنا، ظللنا نضحك على هؤلاء الصبية الصغار، كان إصرارهم عجيب كأنهم كانوا يعرفون ما انتوينا على فعله ويحاولون منعنا من ذلك، أخذناهم في وسطنا حتى خلدوا للنوم، ثم تسللنا من جوارهم، خرجنا وأغلقنا الحجرة حلفنا متوجهين إلى هذه الغرفة، هنا على هذه الأريكة تحديدًا، وعلى هذا الكرسي وعلى هذه السجادة مارسنا الجنس، ضاجعتها لأخر مرة في حياتي، كانت شرهة جدًا ذلك اليوم وكنت كذلك، لم أراها هكذا من قبل كأنها تشتاق للجنس منذ ألف عام، ظللت أضاجعها لمدة ساعتين كاملتين، لم أترك فتحة في جسدها إلا وولجتها منها، لم أترك جزء إلا وقبلته، ولعقته، وشممت ريحه، كذلك فعلت هي، حتى قدمي لم تنساهم وقبلتهما، أفرغت مائي هذه الليلة ثلاثة مرات وأفرغت شهوتها عشر، كنا كالجياع نلتهم بعضنا البعض، بعد أن أنهكنا الإعياء نمنا عرايا نحتضن بعضنا البعض، ملتصقين كالجسد الواحد. أنت تعلم أني أحبها حبًا جمًا، كانت حلم حياتي منذ الصغر، كيف لن أراها ثانية، كيف لن أرى أولادي، كيف سأعيش بدونهم؟

راح برادلي يبكي ويصرخ بكل قوة، أنتحب كوليد جديد خرج من رحم أمه لتوه، حاول ميشيل تهدئته لكنه لم يفلح، ظل يبكي لساعة متواصلة، صمت حين كفت دموعه عن النزول، حين جفت مقلتاه، حينها أحتضنه ميشيل بقوة وربت على كتفيه وهو يحاول تهدئته...

– أن أرواحهم الآن تنعم عند الرب، ووالديك معهم، أدعو لهم بالمغفرة يا صديقي

كفكف برادلي دموعه، حاول أن يتكلم لكن لم يطعه لسانه، سكت برهة، تمالك نفسه، ثم قال من بين دموعه...

- هل تعرف يا ميشيل؟ لست حزين على والداي بقدر حزني على زوجتي وأولادي، هذا لا يعني أني لا أحبهم، لقد كنت أحبهم كثيًرا، لكن بعد أن تزوجت تقاسمت زوجتي حبهما في قلبي، وبعد أن أنجبت تقاسم أولادي قلبي مع زوجتي، ومع كبر الأولاد وكبر والدي في السن، راح الأولاد وزوجتي ليتا يستحوذون على قلبي كله، غريب هو الإنسان، يحب زوجته وأولاده أكثر من والديه من كانوا سبب وجوده في الحياة.
- أمن الممكن أن يكون هذا هو السبب؟
- أي سبب؟!
- سبب حبك لأولادك أكثر، أنك أنت من أنجبتهم وكنت سبب وجودهم في هذه الحياة
- لو كنت أعرف ما سيحدث لهم وأنهم سيموتون جراء حادثة سيارة ما كنت أتيت بهم يومًا، لقد تعذبوا بالتأكيد قبل أن يموتوا، تعذبوا لأني أنا من أتيت بهم، لأجل شهوتي الجنسية أتيت بطفل ليموت وهو يتعذب، بأس لي من إنسان، إن الإنسان الذي يملك أدنى قدر من الرحمة لا يجب أن ينجب، تبًا لي.
- هون على نفسك يا صديقي، هذا أمر الرب

سكت برادلي بعد أن أنهكه البكاء والحديث، قال ميشيل أنه سيبيت ليلته عنده لكن برادلي رفض، قال أنه بخير لا يجب أن يخاف عليه، أمام إصرار برادلي لم يجد ميشيل مفر

من أن يرحل عائدًا إلى منزله، غادر المنزل وأغلق برادلي الباب خلفه بأحكام، عاد لمكانه مرة أخرى، راح يتذكر أوقات مرحه مع زوجته وأولاده، أوقات حزنهم وفرحهم وأوقات لهوهم ولعبهم، لم يكن يتصور الحياة بدونهم، كان قد سكر من الخمر وسكر من الحزن والألم، قيل قديمًا تتجلى الحقيقة في لحظات السُكر، ذهب إلى المطبخ، أخرج سكينة من أحد الأدراج، كان يشعر أن تلك الحياة الأبدية ليست حياته، كيف سيحيا إلى الأبد وحيدًا؟! توجه إلى غرفة النوم، وأمام المرآة الكبيرة راح ينظر إلى نفسه، بكى بشده، ثم نظر إلى الجانب الأيمن أعلى المرآة حيث تقع صورة أخرى لزوجته وأولاده، نظر إليها ثم أبتسم، ودون تفكير وبجرأة كبيرة بسبب الخمر أو بسبب الألم والحزن أو كلاهما معًا، رفع السكينة إلى عنقه...وذبح نفسه.

في الصباح قرر ميشيل أن يمر عليه ليطمئن كيف بات ليلته، قرع الباب كثيرًا ولكن ما من مجيب، أصابه القلق واعتراه الخوف، أبلغ الشرطة، بعد أقل من ربع ساعة وصلت سيارة الشرطة، اقتحموا المنزل ومعهم بعض الجيران الذي التفوا حول ميشيل ليعرفوا ماذا حدث وكان من بينهم رجل دين يسكن بجوار برادلي وميشيل، وجدوا برادلي مسجي على الأرض وفي يده سكين والدماء تغرق أرضية الغرفة، عرفوا أنه انتحر، راح ميشيل يبكي بحرقة وهو يحتضن جسده، نظر رجال الشرطة إلى بعضهم البعض،

خرجوا جميعًا إلا قائدهم الذي ظل ينظر إلى الجثة لبرهة، ثم خرج وهو يحدث نفسه...

–لقد أنقذ نفسه من تلك الأبدية المقيتة..هنيئًا له.

فيما كان رجل الدين يقلب كفيه بعد أن سمع حكاية برادلي من صديقه ميشيل وما حدث معه وألم فقدان زوجته، تعجب كثيرًا مما فعله برادلي، لم يأسف لحاله كان كل همه كيف ينتحر فهذا يغضب الرب.

****

البشر ليسوا أخيار بطبعهم، يقال أن الإنسان كائن أناني شرير بفطرته..هكذا ولد، يتصنع الرقي والتخلق، حتى يوضع في اختبار واختيار بين مصلحته الخاصة ومصلحة الأخريين، حينها بكل توحش يختار مصلحته الخاصة حتى وإن أضرت بالأخريين، أما هؤلاء القلة الغبية الذين يختارون مصلحة الغير على حساب مصلحتهم الخاصة فلا يلبثوا حتى يندمون على ما فعلوا، ويلازمهم الندم طيلة عمرهم، وإن عاد بهم الزمن فسيختارون مصلحتهم الخاصة. يحكم الإنسان على شيء بأنه خير أو شر عن طريق رؤيته بمنظور مصلحته الشخصية، فإن كان الأمر خيرًا له صار خير، وإن كان شرًا له صار شر مطلق وجب محاربته. البشر هم أكبر خطأ وجد في هذا الكون، لكنه خطأ لابد منه؛ فالكون ليس واعي بذاته ويحتاج لكائن واعي لكي يدرك وجوده.

بعد انتحار برادلي أجرت صحيفة أخبار تاهيمنس لقاء صحفي مطول مع ميشيل صديقه، حكى فيه ما سمعه منه في أخر ليلة قضاها برادلي على قيد الحياة بعد أن عاد

من الموت ليذهب إليه مرة أخرى، أعاز انتحاره إلى فقدانه لمعنى الحياة، لم يجد أهمية للحياة بدون زوجته وأولاده، قال أنه لم يقتل نفسه بل قتله الألم والحزن، يتمسك الإنسان بالحياة ليس للحياة بذاتها ولكن لما فيها من متع، تختلف المتع من شخص لأخر حسب منظوره وفلسفته في الحياة، هناك من يتمتع بوجود المال، أو النساء، أو الخمر، هناك من يتمتع بصلاته وعباداته وطاعته للرب، هناك من يتمتع بمساعدة الأخريين ويرى في ذلك جدوى لحياته ومعنى، من يتمتع متع مادية، ومن يرى أن المتع الروحية أهم، لكن ما أن تنفد أو تختفي تلك المتع، تصبح الحياة بلا معنى، جوفاء، خالية؛ فيتخلى عنها الإنسان بكل أريحية بعد أن يملها، وتصبح هي والعدم سواء.

سرعان ما أنتشر الخبر وأنتشر ذلك اللقاء الصحفي بين عموم سكان الجزيرة، فأحدث موجة من البلبلة في وسط السكان، كان الجميع يعتريه قلق دفين من هذا الأمر..الأبدية واختفاء المرض، بعضهم أحب الموضوع لكنه كان يخافه لأنه أمر جديد لم يكن في الحسبان، ولا يعرف عواقبه..سيبقى الإنسان عدو ما يجهل إلى الأبد، والبعض الأخر وجد أنالأمر أزمة كبيرة، فالحياة مملة والبشر لن يتحملون نفسيًا أن يحيوا للأبد..إلى ما لا نهاية، حتى أن بعضهم رفض الاعتراف بحدوث الأمر بالفعل، وقرر أن يحيا بداخل وهم أن هذا كذب، أمر أخترعه حكام الجزيرة لأمر ما، ولن يلبث إلا ويمرض أحدهم ثم يموت، يفضل أغلب البشر دائمًا أن يعيش في وهم يصنعه بنفسه على أن يواجه الحقيقة، الإنسان ضعيف ولا يواجه الحقيقة إلا قوي، لكن كان

الجميع ملتزم الصمت بعد حديث المعظم زلنبور وقوله بأن هذا الأمر نعمة من الرب، من ذا الذي يستطيع رفض نعم الرب؟!

لكن كانت حادثة برادلي هي الشرارة التي أشعلت الأزمة من جديد، أن ينتحر إنسان لأنه لا يستطيع الحياة بدون أحبائه أمر مريع ومقلق، إن فقد المرء أهمية الحياة إذا سيحيا في عذاب دائم، حياة سرمدية لا متناهية من الملل والفتور، أي حياة تكون تلك؟!

حين سمع روبن الخبر من أبنته إليزابيث وهو جالس على الأريكة يشاهد أحد الأفلام، عاودته أفكاره القديمة عن جدوى الحياة، إن لم يمت المتدين ليحصل على النعيم لدى الرب فما نفع الحياة؟ لماذا سيمنع نفسه عن كل متع الدنيا وغرائزه وشهواته إن لم يكن هناك جزاء ينتظره في الآخرة؟ أغلب المتدين لا يمتنعون عن المعاصي والشهوات حبًا في الأخلاق ولكن طمعًا في الجزاء وخوفًا من العقاب، يعلم أن أفكاره تتشابه مع أفكار أنصار الطبيعة، لكن أنصار الطبيعة كفار ملحدين، يكفرون بالله ويعبدون الطبيعة، هم على خطأ محض، وهو صاحب الحق والدين الصحيح، هما الاثنين يريدان الموت، ولكن يرى روبن أنه في الجنة والنعيم وأنصار الطبيعة في النار لأنه يؤمن بالإله الحق أما هم فمجرد كفار ملحدين..كذلك يرون أنصار الطبيعة أيضًا!!

كان روبن يفكر بعمق، الرب وعدهم بالنعيم إذا عاشوا على طاعته ونبذ معصيته والآن يعطيهم الأبدية!! الأمر ليس منطقي، كيف تكون هذه نعمة؟ لا..لا يجوز، إذا هذه نقمة وليست نعمة؟! الرب لا يريدهم بجواره لقد كرههم ونبذهم مطرودين من رحمته. حين

واتته هذه الأفكار أصابه ألم شديد وقوي، راح يبكي ويناجي ربه، تبرك بما لديه من بصاق مقدس، ثم...ثم قرر أن يفعل ما فعله برادلي، لعله يجد إجابة شافيه عندما يلاقي ربه، ذهب إلى غرفته وفي يده شفرة حادة كانت موجودة على المنضدة، استلقى على سريره...وذبح نفسه.

حين دخلت إليزابيث على والدها تبلغه بحلول موعد تناول طعام الغداء وجدته وقد ذبح نفسه، تسمرت على باب الغرفة تنظر للسرير وجثة والدها فوقه والدماء تسيطر على كل مجالات الرؤية، وقفت تبكي بشدة، هالها مشهد الدم، صرخت ملتاعة بكل قوة، خرجت من الغرفة، اتصلت بخطيبها وأخبرته بما حدث وهي تبكي وتصرخ، أغلقت الهاتف وجلست أرضا دون أن تتحرك، لم تمضي نصف ساعة إلا وكان خطيبها قد وصل إلى المنزل ومعه مجموعة من رجال الإسعاف ورجال الشرطة، أستلم رجال الإسعاف الجثة وذهبوا بها إلى المعمل، استجوبت الشرطة إليزابيث استجواب روتيني ثم غادروا المنزل، حاول خطيبها أن يواسيها ويخفف عنها مصابها، لكنها وعلى غير المتوقع لم تكن حزينة، كانت ترى أن هذا أفضل لوالدها، لقد تقدم به العمر، في الحقيقة كان من المفترض أن يكون ميت لولا ما حدث من اختفاء للمرض، كانت ترى أن والدها سيذهب أخيرا للمكان الذي عاش حياته كلها ينتظر أن يذهب إليه، أخيرا سيلاقي ربه.

قضت إليزابيث ما تبقى من يومها وحتى حلول المساء في استقبال المعزيين، الذين كانوا يتحولون لمهنئين لها على موت والدها بعد أن تخبرهم بوجهة نظرها حيال الأمر، العجيب أن القادمين من الجيران والأهل لم يتعجبوا من منطقها وكأنهم يتفهمون موقفها

ويتفقون معها فيه، بعد أن حل المساء ورحل الجميع، انفردت وخطيبهما بنفسيهما، مارسا الجنس سويا، لطالما كان الجنس هو أهم مهرب للإنسان من ظروفه النفسية السيئة، ثم استسلموا لإرهاقهم، احتضنوا بعضهم البعض عرايا ثم خلدوا إلى النوم.

تاهيمنس قبل ألف ومائة عام..البداية..

حين قرروا صنع الخمر

بعد أن رأى الثلاثة رجال الجثث المحترقة ودعاهم رجل الدين إلى عقد جلسة، وافق ثلاثتهم عليها، جلسوا أسفل الجبل المتصاعد منه دخان حريق جثث البشر دون أن يتكلموا، كان مكان واسع كبير مليء بالعشب على جوانبه الثلاثة حزام أشجار وخلفهم الجبل، جلسوا صامتين هالهم ما رأوا، إن للموت رهبة، وللموت حرقًا خوف يصل حد الهلع. ماذا فعلوا هؤلاء البشر ليموتوا حرقًا، لابد أنهم اقترفوا جرمًا عظيمًا، ومن الممكن أنه لاجرم نهائيًا، ولكنها مجرد رغبة مجنونة لأحدهم، أراد أن يحرقهم فقط لأنه يستطيع ذلك، هناك كثير من السادية في هذا الكون، سادية غير مبررة، لمجرد القدرة على فعلها تُفعل، لكن أين هو الكون؟ هم لا يتذكرون شيء، واعين بذواتهم ووجودهم فقط، حتى ذواتهم لم يعوها إلا حين اقتربوا من الجزيرة، لكن لا يعرفون من أين أتوا ولا من أتى بهم إلى هذه الجزيرة، أو لماذا أتى بهم من الأساس!!

قطع صمت الرجال الثلاثة أصوات أقدام متجهة ناحيتهم، تأهب سلفادور ممسكًا رمحه، لكنه أرخى يده عندما رأى الاثنين الآخرين الذين كانوا يركبون معهم السفينة، لقد نسوا أمرهم نهائيًا، لم يتذكروهم إلا حين رأوهم.

– علينا أن نتعاون كي نستطيع أن نحيا هنا...قال سلفادور

أومأ زلنبور وصفائيل موافقين على ما قال، عرف كل واحد منهم نفسه ثانية، أما الاثنين الآخرين فاكتفوا بالجلوس على مقربة منهم يسمعون فقط ولا يتدخلون في حديثهم،

قرر الثلاثة أن يحكموا الجزيرة، لكن سيحكمون من؟ لا يوجد غيرهم والاثنين الآخرين الصامتين، تركهم زلنبور وصعد إلى قمة الجبل، كان يتأمل الجزيرة وحدودها، يستطيع أن يرى الجزيرة كلها من الأعلى، والمياه تحيط بها على مد البصر، نظر أسفل قدميه؛ فوجد علبة كبيرة حجرية، حين فتحها وجد بداخلها كتاب صغير، نظر إلى الأسفل ليتأكد أن لا أحد يراه، تصفح الكتاب وقرء أغلب عناوينه، أمتعض وجهه وقرر أن يؤجل باقي قراءته فيما بعد ولكن قرر أيضًا أن لا يخبر أحد بما وجد، وقف قليلًا ينظر ناحية الشمال قبل أن يصرخ بقوة...

– المجد لله في الأعالي، المجد لله في ظلمات الليالي

كرر جملته ثلاثة مرات قبل أن يهبط مهرولًا حتى وصل إلى رفاقه، توقف قليلًا ليلتقط أنفاسه، أمال جذعه وأستند على ركبتيه بكفيه، سأله صفائيل عن ما به وماذا حدث، أشار له أن يصمت، بعد أن هدأت أنفاسه، أعتدل في وقفته وقال بحماس...

– عندما صعدت إلى الجبل كنت أفكر في ما يحدث حولنا وفي تلك العزلة التي نحن فيها، حينها سمعت صوت يأتي من الفضاء قالي لي يا زلنبور أنت رسول الرب..

راح ينتفض بشدة مصطنعة قبل أن يكمل حديثه..

– أنت رسول الرب، أنت خليفتي على الأرض أنت ومن معك، سيأتي إليك المدد قريبًا، ثم ظهرت أمامي في السماء سفينتين عظيمتين يحملن الكثير من البشر،

رجال ونساء وحيوانات، أعداد غفيرة تكفي لتعمير هذه الجزيرة قادمة في اتجاهنا، فالمجد لله في الأعالي، المجد لله في الأعالي.

نظر سلفادور وصفائيل إلى بعضهم البعض نظرات تعجب، لكنهم لم يهتموا بالأمر، عادوا إلى جلستهم مرة أخرى، اتفقوا فيما بينهم أنه إذا صح حديث زلنبور فسيكون هو رجل الدين وسيكونون أول من يقدسوه، اتفقوا على أن يكونون وحدهم المسئولون عن حكم الجزيرة سيكون سلفادور الحاكم وصفائيل المسئول عن بناء وأعمار الجزيرة واكتفى زلنبور بكبير الكهنة، بينما كانوا يتناقشون وقف زلنبور فجأة وصرخ بأعلى صوته..

– شنكار شالين شرمادين..شنكار شالين شرمادين

نظر سلفادور وصفائيل إلى بعضهم البعض والحيرة تملئ وجوههم بينما أنفجر الاثنين المهمشين ضاحكين، أتجه زلنبور ناحيتهم، صرخ في وجوههم ونهرهم بقوة حتى أنهم تراجعوا إلى الوراء خوفًا منه، أكمل صراخه في وجوههم وهو يخبرهم أن ما تحدث به الآن هو تمجيد للرب ولكن بلغته الخاصة التي تعلمها الآن فقط، ثم نظر خلفه إلى رفاقه وأخبرهم أنه أثناء حديثهم هبط ملك من السماء لم يراه سواه وعلمه تلك اللغة المقدسة الآن وحذره من أن يعلمها لغيره

– وهل تعلمت لغة كاملة في لحظات؟...قال صفائيل

– وهل تكذب المتحدث باسم الرب؟

تفاجأ زلنبور بأحد العامة المهمشين يمسك بيده ويقبلها وهو يقول...

– أغفر لي أيها المبجل، أيها المعظم، أغفر لي جهلي وسوء فهمي، أشفع لي وسامحني

نظر إليه زلنبور وهو يبتسم

– نعم.. المعظم.. المعظم زلنبور

وفجأة – كثرت المفاجئات لكنها طبيعة الحياة – سمعوا أصوات عالية، جلبة قوية تأتي من الطرف الشمالي، نظر ثلاثتهم إلى بعضهم البعض وزلنبور يبتسم وهو يقول لهم " هذه هي البشرى، هذا هو المدد " هرول ثلاثتهم إلى الشاطئ ليجدوا سفينتين عظيمتين تتجهان ناحية الجزيرة، ظلوا يراقبونهم وهم يقتربون في صمت حتى وصلوا إلى نفس المكان التي ترسي فيه سفينتهم، لكن لحظة..ما هذا؟ لقد اختفت سفينتهم!! لكن هذا ليس مهم الآن، رست السفينتين وهبط منهما الكثير من البشر والحيوانات، شباب وشيوخ ونساء، هبطوا واصطفوا خلف بعضهم البعض وهم يتلفتون حولهم، أما الحيوانات فراحت تجري وتنتشر في أرض الجزيرة الفسيحة، حين هبط أخر بشري استعدت السفينتين للرحيل، وقف سلفادور على صخرة عالية، راح يرحب بهم ويخبرهم أنهم أصحاب الجزيرة – بعض الكذب لا يضر، وكثيرة يجلب النفع – عرف نفسه أنه حاكم الجزيرة، وعرف صفائيل وزلنبور أيضًا، وجههم إلى مقرهم أسفل الجبل، بلا أي اعتراض منهم راحوا جميعًا يسيرون خلف صفائيل الذي كان يقودهم إلى المكان المنشود، جميعهم عدا واحد بعد أن رحل الجميع بقى هو مع زلنبور وسلفادور ينظر إليهم وينظرون إليه، وجه حديثه إلى سلفادور قائلًا...

– ماذا يضمن لي أنكم أصحاب الجزيرة ولما نرضى أن تحكمنا أنت وهم؟ لقد جئنا جميعًا – أنا ومن كانوا معي – ولا نعرف من أين جئنا، لماذا لا تكونون أنتم أيضًا كذلك لكنكم وصلتم قبلنا؟! علينا أن نجلس جميعًا ونتحدث ونتفق.

بينما كان يتحدث ألتف زلنبور من خلفه وحين أنهى حديثه طعنه في ظهره طعنة برمح سلفادور نفذت من قلبه، نظر سلفادور إليه بذهول مستفسرًا، نزع زلنبور الرمح من الرجل وتركه يسقط أرضا، نظف الرمح من الدماء عن طريق غرسه في رمال الشاطئ وهو يقول...

– العامة لا يفكرون، وإن فكروا فلابد أن يقتلوا، فأن تركت لهم الحرية سيأتي اليوم وينحونك عن مكانك ويطئونك بأقدامهم بلا شفقة

نزل سلفادور من فوق الصخرة بعد أن أستعاد رباطة جأشه، وقف أمام زلنبور وهو ينظر له بتحد، سحب الرمح من يده بقوة..

– رجال الدين لا يستخدمون السلاح، نحن من نستخدمه ونحميكم به ثم...

نظر حوله ليرى إن كان هناك من يتلصص عليهم، ثم مال ناحيته حتى ألتصق فمه بأذن زلنبور وأكمل هامسًا..

– ثم أني أعرف أنك من أخترع اللغة المقدسة، وأنها ليست لغة من الأساس

هم زلنبور بالتحدث؛ فوضع أصابعه على فمه يمنعه من الحديث وأردف قائلًا

– وأعلم أيضًا أنه لم يأتك وحي من الله ولكنك رأيت السفن قادمة من بعيد حين كنت تقف فوق الجبل.

رجع برأسه إلى الخلف بعد أن أنهى حديثه وعلى شفتيه ابتسامة نصر، نظر إليه زلنبور متسائلًا، يريد أن يعرف ماذا بعد، فتابع سلفادور

– أكتم سرك، أحميك وتحميني

– نعم أحميك وتحميني....قالها زلنبور بحماس وهو يبتسم

أمسك كل منهم بيد الأخر في أحد يديه، ويد سلفادور الأخرى تمسك بالرمح، أما يد زلنبور فقد كانت تتحسس خلف ظهره حيث يخبأ ما وجد فوق الجبل، وذهبوا ناحية الجمع ليوزعون المهام، اتفقوا ومعهم صفائيل أن يبنوا معبد كبير في وسط الجزيرة للمعظم زلنبور. وبدأت الحياة على جزيرة تاهيمنس والتي تعني الغموض.

****

راقب زلنبور الجمع وصفائيل يعطيهم التعليمات، أنسحب من وسطهم بهدوء دون أن يشعر به أحد، ظل يسير في الجزيرة مبتعدًا حتى وصل إلى مكان منخفض بين الأشجار، نزل إليه، أرتكن إلى جذع شجرة كبيرة، أخرج الكتاب، مكتوب على غلافه " كتاب الرب " ، فتح أول صفحاته بعد الغلاف ليجد صفحة كاملة بيضاء فارغة إلا من جملة واحدة " الرب لا يحتاج إلى من يتكلم باسمه " أمتعض وجهه، أنتقل إلى الصفحة التالية ليجدها كما السابقة، بها جملة واحدة " البشر جميعًا سواء أمام الله وبين بعهم البعض، لا أحد مقدس إلا الرب " راح يتفحص باقي أورق الكتاب، كان

عبارة عن كتيب صغير به أخلاقيات عامة ونصائح بغرض تنظيم الحياة بين البشر وطرق التعامل فيما بينهم، وكيف يتم تسبيح الله والابتهال إليه وأداء الصلاة، مزق أول صفحتين، مزقهم تماما وعزم على ألقائهم في المياه حتى يختفي أي أثر لهم، حين أنهى الكتاب وجد أخر صفحة بيضاء إلا من جملة وحيدة " انتظروا العاقبة أن اختفت الأخلاق وساد الكذب باسم الرب " أنقبض قلبه عندما قرء هذه الجملة، حاول أن يمزقها لكن خوف داخلي ملأ قلبه، لكن في النهاية تماسك ومزقها كما مزق نظرائها، قام من مجلسه عازمًا على نشر تعاليم الكتاب ناقصة، سيخبرهم أن الرب أرسل إليه الكتاب وأخبره أنه وذريته خلفاء الرب والمتحدثين باسمه، ألقى الورق الممزق في المياه وراقبه وهو يبتعد مع الموج.

تاهيمنس وقت حدوث روايتنا

بعد حادثة انتحار برادلي والتي أعقبها انتحار روبن، أشعلت الحادثتين العقول تفكيرًا مرة أخرى، هل الأبدية نعمة أم نقمة؟ هل كره الرب عباده ولا يريدهم بجواره فأعطاهم الأبدية أم ماذا؟ لم تعد تخلو الجريدة الأسبوعية من حالتين أو ثلاث حالات انتحار، أصاب القلق جميع طبقات المجتمع التاهيمنسي، أصبح الوضع يثير القلق إلى أقصى حد، فبعد أن مات المرض ظهر مرض جديد وهو الملل، كره الأبدية ومن ثم الانتحار للتخلص منها.

في صباح أحد الأيام وقبل أن يلقي زلنبور عظته الأسبوعية ذهب إليه سلفادور في المعبد، بعد أن قبل يده وتبرك ببعض البصاق المقدس، جلسا يتشاوران في ما يحدث، أبدى الثنائي قلقه حيال موجة الانتحار تلك التي تغزو الجزيرة، بينما كانوا يتحدثون دخل عليهم صفائيل الذي كان قد بلغه سلفادور بمكان وجوده قبل أن يغادر مكتبه ذاهبا إلى المعبد وأخبره أن يأتي خلفه، ألقى صفائيل عليهم التحية ثم جلس، سأله سلفادور عن نتيجة أبحاثه حول اختفاء المرض، أخبره أنه لا جديد، يأخذون عينات يومية من أشخاص بطريقة عشوائية، حيث يقومون بتحليلها، لكن كل مرة لا يجدون أي شيء غريب، كل شيء كما هو لا يوجد أي طارئ غريب على الدم أو الخلايا، أخبره أنه مازال يحتار في ذلك الأمر، نقل إليه سلفادور قلقه من موجة الانتحار فأعرب بدوره عن قلقه الشديد من ذلك الأمر، ومن تلك الأزمة الوجودية التي عمت الجزيرة، قال أنه لا حلول لديه، الحل الوحيد في يد زلنبور، نظر إليه زلنبور متعجبًا متسائلًا، قال له أنه صاحب تأثير قوي على السكان لأنه رجل الدين، أثنى صفائيل كثيرًا على قوة تأثيره

على البشر مما زاد غرور زلنبور وجعله يشعر بأهميته ومكانته – وهذا ما كان يسعى إليه صفائيل – أخبرهم زلنبور أنه سيعالج الأمر اليوم في عظته الأسبوعية، قال ذلك كأنه أمر روتيني، تحدث بكل ثقة، فلقد كان يعرف تأثيره على عموم الشعب، وافق سلفادور أيضًا على ترك حرية التصرف في هذا الأمر إلى المعظم زلنبور، انتهوا من حديثهم ونقاشهم ثم غادر صفائيل وسلفادور كلًا إلى وجهته، مكث زلنبور يداعب كرته المقدسة وهو يفكر في حل لتلك الأزمة، كيف يحول بين الناس وبين الانتحار، حتى وإن لم يكن يهتم بالعامة أو يراهم أقل منه، إلا أنه لا ينكر أهمية وجودهم، فلولا وجود الجهلاء ما انتشرت الخرافة ولا سيطر أمثاله من الكذابين، إن لم يكن هناك عامة فعلى من سيسيطر؟ ظل يفكر ويفكر ويفكر لكن لم يهتدي ذهنه إلى حيلة جديدة يعالج بها الأمر، فقرر الاعتماد على طريقته المعتادة، أن يستخدم اسم الرب في تمرير ما يريد من أفكار.

حين حانت الساعة المحددة لإلقاء عظته الأسبوعية، أعتلى منصته وأمسك الميكرفون...

– المجد لله في الأعالي وفي ظلمات الليالي، المجد لله مدر النعم الصابر على جهل البشر، المجد للرب معطي العطايا بلى َمن ولا ينتظر من البشر الشكر..هالني يا أحبابي ما أسمعه من أخبار هذه الأيام، فمنذ موت أو بالأحرى انتحار الهالكين برادلي وروبن وأصبح الانتحار شيء معتاد لدى بعض من أهل الجزيرة ضعيفي الإيمان، حتى أصبحوا لا يجزعون لذكر الموت وذهبت الرهبة من قلوبهم ومن قلوبكم جميعًا، ماذا حدث لكم؟ هل هكذا تقابلون نعم الرب؟

بالجحود والنفور والرفض! تبًا لكم من ناكرين للجميل، كيف تجرأتم على الله؟ تجرأتم حد رفض نعمته بكل قوة، أعطاكم الأبدية فترفضوها بالانتحار، أنتم بشر هالكون، ستهلكون بجحودكم على الله، الله أعطانا الأبدية نعمة واختبار، نعمة لنحيا أكثر فنعمر الأرض ونستزيد من الثواب بزيادة الطاعة والعبادة، ونعمر الأرض أكثر وأكثر، واختبار ليختبر صبرنا ورضانا بما انعم علينا به، ماذا تفعلون؟ أتقولون للرب نحن نرفض نعمك وننتحر؟

إن الانتحار كفر، نعم كفر..لقد جاء في كتاب الرب أن الروح ملك للرب، فأعلموا أن أرواحكم ليست ملكًا لكم كي تزهقوها، هي ملك الرب فلست حر التصرف فيها، ليست روحك فقط أنت كلك ملك الرب، خلقك لتفعل ما يريد، فلا تملك الاختيار، فقط تملك الطاعة والانصياع، المنتحر كافر سيخلد في الجحيم، لا مغفرة له..أقول لكم وأنا أعي ما أقول لا مغفرة له، لن يرحمه الرب، من رفض الأبدية في الدنيا واختار الخلود في الجحيم فليقتل نفسه وينتحر.

هذا وسأصلي للرب في خلوتي اليوم أبتهل إليه وأدعوه لكي يلهمكم الصبر.

أنهى زلنبور عظته وأغلق الميكرفون.

على الناحية الأخرى من الجزيرة كان هناك سيدة تستمع إلى العظة داخل منزلها باهتمام بالغ، لم تنبث ببنت شفة طوال حديث المعظم حتى لا يفوتها أي كلمة منها، حين انتهى من حديثه غرقت في موجة من الضحك الهستيري، كانت جانيت سيدة عجوز بلغت المائة من العمر، مات زوجها وأولادها وتعيش مع أحد أحفادها، البشر عاطفيين إلى أقصى حد، حتى القاتل يقتل في بعض الأحيان من أجل عاطفة كريهة كعاطفة

الحقد أو الانتقام، كانت جانيت تحب زوجها وأولادها وكانت تنتظر الموت علها تراهم ثانية، تنتظره بقدمين عاجزتين ونظر شحيح وقلب كاد أن يتوقف، منذ أن اختفى المرض وهي تحيا على أمل الموت في أحد الحوادث حتى تتخلص من ألم لازمها لأعوام..ألم الفراق والوحدة، بعد أن زال منها المرض وتعلقها بأمنية الموت أكثر، زادت من خروجها من المنزل والتسكع ليلًا في شوارع الجزيرة، عسى أن يقتلها مخمور يقود سيارته أو تسقط فوقها بناية، كانت تنتظر الموت رغم الأبدية، حين سمعت خطاب المعظم زلنبور أيقنت أنه لا مفر من تلك الأبدية الحمقاء، حين أنهت ضحكاتها الهستيرية، قامت من مجلسها متوجهة إلى غرفتها، ارتدت ثيابها..فستان أصفر قصير قديم، كان يحب زوجها أن يراها تلبسه، تعطرت بأفضل ما لديها من عطور، كانت تفعل ذلك كل ليلة قبل خروجها من المنزل، أسدلت شعرها حتى لامس كتفيها، أمسكت في يدها حقيبة ملابسها المعدة سلفًا والتي داومت أيضًا على أخذها معها حين خروجها، غادرت المنزل متجهة ناحية شريط القطار الحديدي، وحين وصلت ألقت بنفسها أسفل عجلات القطار وهي تبتسم.

****

بعد عدة أيام من ألقاء زلنبور عظته الأسبوعية أرسل مجموعة استطلاعية من صغار الكهنة، كانت مهمة تلك المجموعة في المعتاد أن تمر على السكان في منازلهم ومقر عملهم لتعرف أخبارهم في العبادات وأداء الصلوات، من منهم يذهب إلى المعبد ومن يقصر، يعرفون أخر موعد لذهاب كل فرد إلى المعبد، ينصحون المقصر ويدونون اسمه وعنوانه وكل بياناته ليتابعوه بعد ذلك وأن داوم على تقصيره تعقد له جلسة نصح

يترأسها كبير الكهنة بنفسه ويحذره من الاستمرار في تقصيره وتفريطه في حق الرب، وأن داوم وأصر يعاقب بالنبذ من قبل المعبد وكهنته وبناء على ذلك ينبذه كل أفراد المجتمع، ويهادون الملتزمين بهدايا مباركة من المعبد، مباركة بخاتم المعظم زلنبور كبير الكهنة ومغموس في بصاقه المقدس بنفسه، تلك هدايا تستحق أن يفتخر بها مقتنيها، حتى أنها تعلق في صدارة الحوائط وفي حجرات استقبال الضيوف.

أما الغرض الأساسي من إرسالهم هذه المرة فهو متابعة صدى العظة الأسبوعية وكلمته عن الانتحار لدى العامة، وما أخبار تلك الموجة الانهزامية والأزمة الوجودية التي حاقت بالجزيرة وسكانها، جاءته كل التقارير سلبية بشكل لم يتوقعه حتى أنه صُدم، لازال البعض يرفض نعم الرب – على حد وصفه – ويقرر إنهاء حياته، حتى أن بعض السكان أصبحوا مبدعين في اختراع طرق الموت، فمن يلقي نفسه من فوق بناية ومن يشنق نفسه، ومن يلقي بنفسه أمام قطار...إلخ، بل أن مع مرور الأيام ازدادت النسبة المقتنعة بتلك الأفكار الانهزامية وأزداد عدد البشر المنتحرين، أستلم زلنبور تلك التقارير ورفعها إلى سلفادور الذي أرسلها بدوره إلى صفائيل.

****

بعد أن أستلم صفائيل التقارير التي أرسلها إليه سلفادور قرر أن يذهب إليه في مقر الحكم ليعرض عليه جديد أفكاره حول الأزمة، غادر المعمل الذي أصبح سكنه ومكان عمله ومكان قضاء أجازته وعطلته أيضًا، منذ بدء الأزمة وهو يكرس كل وقته وجهده للعمل على حلها ومجابهة التطورات، ترك المعمل متجهًا إلى سلفادور، حين وصل

أستقبله سلفادور قلقًا متسائلًا عن سبب زيارته، أخبره صفائيل أن هناك فكرة جديدة يحاولون تطبيقها، منذ بدء العمل على ذلك الأمر وهم يحاولون اكتشاف سبب اختفاء المرض، لكنه البارحة واتته فكرة جديدة، لماذا لا يكون هذا الذي هم فيه مرض أيضًا لكنه يخالف كل الأمراض المعروفة لديهم؟ مرض أخفى كل مرض عداه، كما يحدث في مجتمع الأسود مثلًا، فالأسد القوي يفرض سيطرته على إناثه ومنطقته فلا يكون هناك ذكر سواه، لماذا لا يكون هذا أيضًا مرض قوي من نوع خاص وجديد نوع مستأسد ألغى كل ما عداه من مرض؟ ولكن حتى الآن لم تظهر له أي أعراض معروفة للأمراض العادية؟ حين أخبر سلفادور بذلك أسترعى الكلام انتباهه وأعجبته الفكرة، وراح ينصت لحديثه باهتمام بالغ، أردف صفائيل أنهم قرروا البدء في العمل على هذه الفكرة على الفور، حضروا بعض الحيوانات لأجراء التجارب عليها، سيجربون كل المضادات الحيوية المعروفة لديهم كلًا على حدة أولًا ثم يراقبون ردود أفعال أجساد الحيوانات، إن لم تفلح تلك الطريقة سيجربون كل المضادات المعروفة والتي يمكن خلطها مع بعضها البعض مرة واحدة حتى يصلون إلى نتيجة سواء كانت بالسلب أو الإيجاب، لكن تقف أمامه عقبة واحدة، أن أفلح الأمر مع الحيوانات كيف سيجربونه على البشر؟ فقوانين الجزيرة وبباعث من الأخلاق تمنع التجارب على البشر مهما كانت الدوافع ومهما كانت خطورة الأمر، لكنه أرجئ تلك المشكلة حتى يحين وقت الحديث فيها، فالكلام الآن عنها مازال مبكرًا.

تحمس الحاكم سلفادور لهذه الفكرة أيما حماس، وجد فيها بريق أمل كان قد خفت منذ زمن، أمل يحتاج إليه حتى وإن كان أمل ضعيف، يتعلق الإنسان أحيانًا بالوهم

ليتمكن من الصمود أمام الصعاب حتى وإن كان يعلم في قراره نفسه أنه وهم – وحده القوي النفس من يرفض الوهم وهؤلاء ندرة بين البشر– وما هم فيه ليس من الصعاب ولكنه من الكوارث، كارثة تهدد بقاء الجنس البشري. حس صفائيل على المضي قدمًا في تنفيذ تلك الفكرة، أخبره أن كل موارد الجزيرة رهن أشارته، فرح صفائيل لتحمس سلفادور، وعده ببذل قصار جهده ثم غادر مقر الحكم، غادر بعد أن شجعه حماس سلفادور، ذهب ليكمل عمله على قدمًا وثاق بعد أن كاد يقتله الملل وهو يحارب الأبدية.

بعد أن غادر مباشرة رفع سلفادور هاتفه الخاص وهاتف المعظم زلنبور، أخبره بفحوى الحديث الذي جرى بينه وبين كبير العلماء منذ لحظات، أخبره ذلك بفرح عارم، لم يكن يعلم أن وقع هذا الخبر على المعظم كوقع خبر موت أعز أحبائه، فإن توصل صفائيل إلى علاج يعني هذا كشف كذبه وخداعه، يعني أنه كان يكذب حين قال أن الأبدية واختفاء المرض نعمة من الرب، كيف تكون من الرب إن عالجها صفائيل؟! أيكون حينها العلم أقوى من الرب؟ أم يكون هو كاذب، أم ستصل الأمور لأكثر الاحتمالات سوداوية وتشاءما وتعم موجة ألحادية بسبب تفوق العلم على نعمة الرب؟ وحينها لن يكون هذا ذنب البشر لكنه سيكون ذنب كذب رجل الدين الذي يرجع كل شيء إلى الرب كذبًا، زلزال من الأفكار زلزل عقل زلنبور بعد أن سمع ما أخبره به سلفادور، زاد كرهه وبغضه لصفائيل، فهو يوشك أن يسقطه ويسقط الكهنوت برمته ويكشف كذبه وخداعه، سيمحى تاريخ مئات السنين من الكهنوت، قرون من تاريخ عائلته على كرسي الكهنوت، معظم يورث معظم حتى وصل الكرسي إليه، سيمحى كل

ذلك بضربة واحدة، راح يفكر زلنبور في حل لهذا الافتراض، إن عاد المرض من جديد ماذا سيفعل وماذا سيقول لجموع الشعب وعامة الناس؟ بدلًا من أن يفكر في الأزمة ويفرح لحلها، راح يفكر في كذبة جديدة باسم الرب يكذبها أن اختفت الأبدية وعاد المرض.

حين يزداد تجرع الخمر..يفقد تأثيره.

منذ عدة أيام والجزيرة على حالها لا يتغير كثيًرا، حالة انتحار هنا وأخرى هناك، أصبح الأمر تقليدي، يستقبله سكان الجزيرة بلا مبالاة. أمن الجزيرة يجوب الشوارع ويطوق الأماكن الحيوية باستمرار بعد أن أصدر سلفادور قانون طارئ يجرم الانتحار، فإن لم يردع الدين هؤلاء المنتحرين يجب ردعهم بالقانون والخوف، جاء في بنود القانون أن من يضبط محاولًا الانتحار يسجن مدى الحياة، ومن يساعد شخص على الانتحار يسجن خمسة وعشرين عامًا، ومن يجد شخص يقدم على الانتحار ولا يحاول منعه عشرة أعوام.

ورغم ذلك القانون الذي تم تطبيقه بصرامة مازال سكان الجزيرة يقدمون على الانتحار، فكيف يخاف من كره الحياة وفقد معناها من أن يسجن؟! عندما يصل المرء إلى هذه الدرجة من اللامبالاة تجاه الحياة فلا يعد يكترث بأي شيء ولا يعد الخوف يعرف طريق إليه، صُيغ القانون وطُبق ومازال البشر يقتلون أنفسهم وترسل جثثهم إلى المعمل لتحليلها ثم وضعها في أحواض الحفظ.

في بداية أحد الأيام فوجئ أهل الجزيرة بلا سابق مقدمات بجحافل غفيرة من أفراد جماعة أنصار الطبيعة يتجمعون سويًا ويسيرون صامتين متراصين في صفوف بنظام بالغ، لأول مرة يرى شعب تاهيمنس أنصار الطبيعة يجوبون الطرقات، وهم من كرهوا التقدم والتكنولوجيا وقرروا اعتزال حياة المدنية تمامًا بإرادتهم الحرة، حاوط الأمن المسيرة دون التعدي عليها وظلوا هم في سيرهم صامتين كأنهم جنود في عرض عسكري لا

يُسمع إلا أصوات خطواتهم على الطريق، أو سرب أسماك في موسم الهجرة، حتى وصلوا أمام مقر الحكم، وصلت الأخبار إلى سلفادور فأوصى رجاله بالحذر؛ فأنصار الطبيعة يملكون من الكره والحقد لهم ما يخولهم لفعل أي شيء أو تبني أي درجة من درجات العنف، حين وصلوا إلى مقر الحكم راحوا يهتفون منددين بحكم سلفادور والمدنية والتكنولوجيا التي أعاذوا لها ما هم فيه من بلاء، هتفوا بغضب وكره، ألقوا اللوم على صفائيل والعلم على ما وصل إليه حال الجزيرة، مكثوا يهتفون دون حراك لأكثر من ساعة حتى أطمئن الأمن وراح يراقبهم من بعيد، حينها وبإشارة من قائدهم أخرج كل فرد منهم من طيات ملابسه غصن شجرة قوي وسميك، تفرقوا في لمح البصر كأنهم يسيرون على خطة مسبقة مهاجمين لكل شيء أمامهم، متحرك كان أو ساكن، ضربوا المارين في الشوارع، كسروا زجاج البنايات والسيارات، هاجموا رجال الأمن، راحوا يمطرون مبنى الحكم بالحجارة، أعاثوا في المدينة الخراب في دقائق معدودة وفي غفلة من الجميع، حين أستوعب رجال الأمن ما يحدث راحوا يحاولون السيطرة عليهم واحتوائهم بداخلهم بعد أن شكلوا دائرة حولهم محاولين الضغط عليهم لكنهم لم يفلحوا أرسل سلفادور دعم كبير من رجال الأمن، أمرهم برد العنف بعنف أشد، أمرهم باستعمال الطلقات الحية وقتل أنصار الطبيعة وإلقاء القبض على من يبقى حيًا، ساد الهرج والمرج وامتلأت شوارع الجزيرة بصراخ الجرحى وطلقات الرصاص، في ذلك اليوم قُتل ما يقارب المائتين شخص وتم القبض على ضعف هذا العدد ولاذ الباقي بالفرار، باتت المدينة ليلتها في رعب عظيم فأهل الجزيرة لم يعتادوا مثل هذه

الأمور من قبل، لم يعتادوا مثل هذا العنف، ولكن ألتمس البعض العذر لأنصار الطبيعة؛ فحين يفقد المرء يقينه وإيمانه لا يجب أن نلومه على رد فعله.

بعد هذا الحدث بيومين أستلم المعمل جثث القتلى ليضعها في أحواض الحفظ أما من ألقي القبض عليهم فحكم عليهم بدون محاكمة بالسجن الأبدي.

كان المعمل في حاجة ماسة لتلك الجثث فلقد بدء العجز في الإنتاجظهر جليًا، فرح صفائيل فرح عارم بتلك الجثث ولم يهتم أبدًا بكيفية وجودها، أحيانًا العلم لا يهتم إلا بمجده الخاص ومصلحته، وقف يشرف بنفسه على وضع الجثث في الأحواض وهو يفكر فيما هو قادم، أصبح الوضع مستقر الآن لكن ماذا بعد أن تنفذ وتتحلل تلك الجثث؟ ماذا إذا كف الناس عن الانتحار ولم يعد هناك جثث؟ في تلك اللحظة خطرت له فكرة شيطانية لمعت لها عيناه، غادر على الفور المعمل متجهًا إلى سلفادور.

بعد أن وصل ودون أ طالة في المقدمات عرض عليه فكرته مباشرة؛ فصُعق سلفادور من تلك الفكرة، هاجم صفائيل بقوة، نهره وتعجب كيف واتته تلك الفكرة؟! لكن صفائيل لم ييأس وراح يحاول أقناعه بفكرته.

– الوقت يا صديقي..الوقت عامل مهم، نحن الآن أصبحنا في أمان مؤقت من فقدان الطاقة بفعل الصدفة، لكن ماذا سنفعل في المستقبل حين ينفذ مخزوننا؟ حينها سيلتهمنا الوقت وسنقع في مأزق لن نستطيع الفكاك منه وستضطر حينها لتنفيذ فكرتي، فلما لا نفعلها الآن ونضمن الوقت؟!

- لكن كيف سيقابل سكان الجزيرة هذا الخبر؟ ماذا سيفعلون عندما يعلمون أننا أخذنا سجناء أنصار الطبيعة الأحياء ووضعناهم في أحواض الحفظ وهم أحياء؟ والأنكى من ذلك أنك تطالبني أيضًا بالسعي خلف الفارين والقبض عليهم لنفعل بهم نفس الأمر؟ لا لا أستطيع فعل ذلك.
- صدقني يا صديقي لن يفعلوا شيء، سكان الجزيرة يكرهون أنصار الطبيعة ويكرهون وجودهم ولطالما سعوا نحو التخلص منهم، لا يشعر البشر بالشفقة على من يكرهون، فما بالك إذا علموا أن هؤلاء المكروهين سيتم تسخيرهم لمنفعتهم الخاصة ورفاهيتهم؟ سيصمتون بالتأكيد ولن يعترض أحد، ولا تنسى نحن في وقت أزمة وفي أوقات الأزمات لا يجب أن نهتم بالأخلاق لكن يجب أن نهتم بالمصلحة العامة فقط وبكيفية النجاة.
- حتى وإن كان ما تقوله صحيح من نحن لنقرر مصير بشر أحرار؟ من نحن لنقول من يموت ومن يحيا نحن بشر مثلهم ولسنا إلهة، لا يجب أن يقرر أحد مصير البشر، كل شخص مسئول عن مصيره.
- أوافقك تمامًا فيما تقول، لكن أكرر لك نحن في وقت استثنائي، ما تقوله يجوز في أوقات الرخاء أما الآن فوحدك أنت وأعاونك أنا من لنا الحق في تقرير مصائر البشر، أنت الحاكم المسئول عنا جميعًا يجب أن تفضل بيننا حتى تضمن حياة أفضلنا، أما من هم أقل فهم وقود لنا، البشر طبقات ويجب أن نعترف بذلك، لسنا سواسية يا صديقي، أن احتدت الأمور يجب أن ننقذ الأفضل ثم الأفضل، نحن لا نختلف عن مملكة الغابة في شيء إلا في أننا اخترعنا وهم

الأخلاق، في الغابة يأكل القوي الضعيف ليحيا، ويأكل الضعيف من هو أضعف منه ويجب أن نكون كذلك، وإلا فلنستسلم للموت إذًا.

- حتى وإن سلمنا أننا طبقات، ولكن كل فرد في طبقة ما هو حر بالكامل في اختيار ما يريد.
- أي حرية تلك التي تتحدث عنها؟ أين حريتنا في موعد ميلادنا أو موعد موتنا، أي حرية في ظروف والدينا الاجتماعية، نحن حتى لا نختار أهلنا، أما عن اختياراتنا حين نبلغ فهي اختيارات محددة سلفًا داخل دائرة لا نستطيع الخروج منها، نحن لم نكن يوم أحرار ولن نكون، أخبرني أين حريتنا فيما نحن فيه من اختفاء المرض، نحن مجبورين من البدء وحتى المنتهى، ولكننا نوهم أنفسنا بالحرية حتى نستطيع أن نحيا ونحن نتوهم السعادة، حريتنا الوحيدة في العلم عندما نستطيع بالعلم تقرير مصائرنا بأيدينا، وسنصل إلى ذلك بالعلم وحده، وحتى نصل له فنحن لسنا أحرار يا صديقي.

لاذ سلفادور بالصمت مفكرًا، طال صمته حتى قطعه صفائيل قائلًا...

- إذا كنت تخاف لوم أهل الجزيرة فأخبرهم أني صاحب الفكرة، أو حتى أني فعلتها دون معرفتك.

حينها وعلى الفور عندما أطمئن سلفادور على نفسه ومنصبه وافق على الفكرة.

****

بعد أن حصل صفائيل على موافقة القائد على فكرته، وتأكد بنفسه أن مساعديه يستعدون لتنفيذ الأمر، قرر العودة إلى المعمل ليعكف على دراسة تحاليل المنتحرين، فلقد كان يوصي بعمل تحاليل شاملة لكل منتحر تصل جثته إلى المعمل.

حين وصل وبعد أن خلع ردائه وارتدى زي المعمل المعقم، أخبره أحد رجال أمن المعمل، أنهم قاموا برصد محاولة انتحار لأحد عمال النظافة الذين يعملون في المختبرات، لكنهم تمكنوا من منعه وتقييد وحجزه بغرفة الأمن لحين البت في أمره، أستمع صفائيل إلى الخبر بلا مبالاة، أمره بالاتصال بقوات الشرطة لتقوم باعتقاله حسب نص القانون الجديد.

دلف إلى مكتبه الخاص ليجد ملفات المنتحرين تنتظره فوق المكتب، كان قد أعدها له أحد مساعديه، راح يتفحصها واحد تلو الأخر كلًا على حدة بالترتيب كما وضعت حسب موعد وصول كل جثة، وجد كل التحاليل سليمة لا وجود لأي أمراض كما هو الحال المعتاد، لا يوجد بأجسادهم أي خلل عدا نوع غريب من الفيروس ُرصد في جميع عينات الدم التي أخذت من المنتحرين، جميعهم بلا استثناء تحتوي دمائهم على هذا الفيروس، راح يطالع تقارير المختبر عن هذا الفيروس لتزداد دهشته، فيروس غير معروف لم يوجد له أي أثر في أي مكان في الجسم عدا الدم، أما المفاجأة الكبرى التي وجدها في التقارير أن الفيروس يختفي تمامًا من العينات بعض دقائق من رصده كأنه لم يوجد قط، كأنه يريد أن يتم رصده ويعلن عن وجوده ثم يختفي، يعلم أنه تمت مراقبته فيختفي تمامًا، فرغ من قراءة التقارير ومراجعة التحاليل وجلس يفكر في عمق صامت لمدة زادت عن الساعة بقليل، حين أستيقظ من فكره الشارد أمر أحد معاونيه

بأجراء تحاليل سريعة لكل من يوجد في المعمل الآن من أطباء ومختصين وحتى العمال، يريد معرفة هل الفيروس موجود في الآخرين أم لا، وقام بنفسه بمتابعة الأمر، بعد أن أجرى الكل التحاليل كانت تعرض عليه النتائج تباعًا ولمدة تجاوزت الثلاثة ساعات كان يقرأ التقارير ما أن تخرج من المختبر، ولكن خاب أمله ولم يجد أي أثر لهذا الفيروس، زاد تعجبه واستحوذتعليه الحيرة، راح يقطع مكتبة ذهابًا وإيابًا مفكرًا في صمت، قطع صمته أحد المساعدين، أخبره أنهم استلموا جثة لمنتحر منذ قليل ولم يرى تقريرها، حين قرأ التقرير وجد الفيروس موجود، أمر المساعد بإحضار تقارير جثث أنصار الطبيعة فمن المحتمل أن يكون هذا الفيروس موجود في الجثث فقط، لكن خاب أمله مرة أخرى ولم يجد في تلك التقارير أي شيء عن هذا الفيروس الشيطاني، فجأة تذكر عامل النظافة الذي أراد الانتحار وكان قد أخبره عنه رجل الأمن وعندما سأل عنه عرف أنه لم يخضع للاختبارات كباقي الموجودين في المعمل، أمر بإحضاره على الفور وأجراء التحاليل له، سارع معاونيه في تنفيذ الأمر بينما جلس هو يفكر في توتر بالغ، يدور في ذهنه عشرات الاحتمالات، بعد دقائق قليلة أقتحم مكتبه مساعده وسلمه نتيجة الاختبارات، طالعها بتلهف، حين قرأ ما كُتب في التقرير اتسعت عيناه دهشة، عامل النظافة حي ولكن الفيروس موجود بداخله، أمر بعمل تحاليل أخرى له، وجاءت نفس النتيجة الفيروس موجود، ازدادت الحيرة أضعاف، لماذا لم يختفي الفيروس كالمرات السابقة حينما تم رصده؟ ألقى الأوراق أرضًا وهرول مسرعًا ناحية غرفة الأمن مكان احتجاز عامل النظافة، اختلى به وراح يحاوره في أسباب انتحاره، ولكن كان همه الشاغل أن يعرف كيف جاءت له فكرة الانتحار، أندهش حين سمع

العامل يقول أنه حتى البارحة لم يفكر في الانتحار ولكن باغته على حين غرة شعور باللا اكتراثيه للحياة وما فيها، شعر فجأة بأنه يكره الحياة ويريد الموت وأن هذه الحياة بلا هدف؛ فقرر أن ينتحر، ذُهل صفائيل مما سمع، أقترب من أذن العامل وهمس سائلًا إياه إن كان مازال يريد الانتحار؟ حينما أجابه العامل على الفور وبلا تردد بنعم، خرج من الغرفة وعاد سريعًا، مد يده بمشرط جراحة إلى العامل، وهو يبتسم له ابتسامة هادئة ويومأ برأسه أن خذ ونفذ ما تريد، لم يتردد العامل ولو ثانية، أخذ المشرط من يده في لهفة كأنه يخاف أن يتغير كلام صفائيل، رفع يده إلى عنقه وذبح نفسه، سقط العامل أرضًا عند قدمي صفائيل فتراجع في هدوء مبتعدًا وهو يراقب الدماء تسيل بغزارة من عنقه بدم بارد كأنه حيوان وليس إنسان، بعد برهة قصيرة وعندما تأكد من موته، أخذ عينة من دمائه وفتح الباب مغادرًا الغرفة ليجد رجل الأمن أمامه، لمح رجل الأمن من خلف صفائيل الجثة المسجية أرضًا والدماء حولها، نظر إلية صفائيل بهدوء وهو يقول له بعد أن منعناه أول مرة أستغل انشغالنا وفعلها وانتحر ولم نستطع إنقاذه، هذا ما ستكتبه في تقريرك حين تأتي قوات الأمن، ثم أتجه ناحية المختبر ليحلل العينة، عندما جاءت نتيجة التحاليل وجد أن الفيروس كان موجودًا ولكنه لم يلبث إلا واختفى كما العادة. رغم تأكيد اعتقاده بأن الفيروس يختفي بعد الانتحار إلا أنه صُدم من هذه النتيجة فهذا يعني أن المنتحرين لا ينتحرون إلا بعد أن يصيبهم ذلك الفيروس.

أنتزعه من صمته صوت مساعدة الذي اقتحم مكتبه وهو يلهث ويقول له سيدي هناك أمر مهم لابد أن تراه بنفسك لن تصدقه.

أنسكب الخمر وأنقلب السحر على الساحر

فوجئ سلفادور بحديث صفائيل له في الهاتف، لم يعرفه من قبل بمثل هذا التوتر، بمثل هذه السرعة في الحديث والتلجلج، كانت أنفاسه تتسارع أثناء الكلام كأنه يهرب من أعتى وحوش الكون ضراوة. خرج سلفادور من مقر الحكم وحيدًا دون حراسة متجهًا إلى معبد تاهيمنس كما أتفق مع صفائيل، حين ركب سيارته أتصل بالمعظم زلنبور، أبلغه بقدومه هو وصفائيل إلى المعبد لمناقشة أمر هام، أمره أن يخلي قاعة المعبد الرئيسية من كل الزوار وطالبي العلاج الروحاني ورواد المعبد والمصلين وحتى من الكهنة الأخريين أنفسهم، أغلق الهاتف دون أن ينتظر رد زلنبور وأنطلق بأقصى سرعة أستطاع الوصول إليها متجهًا إلى المعبد، حين وصل ودلف إلى المعبد ثم إلى القاعة الرئيسية تحديدًا، وجد زلنبور في انتظاره بتوتر بالغ، ما إن دخل القاعة حتى بادره زلنبور بسؤاله عن ذلك الأمر الهام الذي حدثه عنه في الهاتف، لم يكن لدى سلفادور أي إجابة فاكتفى بمط شفتيه وقول لا أعلم، قبل أن ينهي جملته دخل صفائيل لاهثًا مهرولًا يتصبب العرق من كل جسده حتى ابتلت ملابسه كمن سقط في النهر، جلس على أقرب مقعد صادفه، لم يمهله سلفادور فرصة ليلتقط أنفاسه؛ سأله عن هذا الأمر الهام الذي يظهر خطورته على ملامح وجهه المتوتر؛ فأشار له أن يتمهل حتى يلتقط أنفاسه لكي يستطيع أخباره، لزم الثنائي الصمت متأففين متأهبين بكل جوارحهم لسماع ذلك الخبر، ساد الصمت القاعة حتى قطعه صفائيل بحديثه، قص عليهم ما حدث معه ومع مساعديه في المعمل بداية من قرار فحص جثث المنتحرين مرورًا باكتشاف الفيروس وفحص جثث أنصار الطبيعة وصولًا لحادثة عامل النظافة التي

أكدت نظريته، لكنه لم يخبرهم أنه هو من قتل عامل النظافة بطريقة غير مباشرة في سبيل العلم، فقد كان الأمر أتفه وأقل شأنا من أن يذكر في اعتقاده، الجميع فداء للعلم، والجميع فداء للحكم في نظر سلفادور كما الجميع فداء للدين في نظر زلنبور وكلًا يبكي على مصلحته الخاصة إذا تقاطعت المصالح وأصبح عليهم الاختيار، حين وصل إلى الجزء الخاص باكتشاف الفيروس لدى المنتحرين سأله سلفادور بدهشة بالغة..

- ماذا تقصد بقولك هذا؟ أيعني حديثك هذا أننا جميعنا مجبرين على كل ما يحدث؟ اختفاء المرض، شغب أنصار الطبيعة، فقدان القيمة، انتحار الناس، مجبرين على كل هذا ولم نختار شيء؟ حتى المنتحرين لم يختاروا موتهم بل كانوا مجبورين وهم لا يعلمون؟
- يبدو هذا، يبدوا أن الكون يتسلى بنا، أن الطبيعة تمازحنا وتعبث معنا، تعبث بمشاعرنا وأفكارنا وقراراتنا، تعطينا خيارات قليلة محددة سلفًا لتوهمنا بالحرية ولكن في الحقيقة نحن ننفذ مخطط وضع سلفًا ونسير في طريق لم نختاره، ألم أخبرك أن الإرادة الحرة للبشر وهم وأننا لا نختار شيء؟

في هذا الوقت تدخل زلنبور الذي كان مكتفيًا بالإنصات إلى حديثهم، تكلم بنبرة اتهام واضحة جلية...

- وما الذي يضمن لنا صحة كلامك؟ وأنك لا تكذب وتدعي وجود هذا الفيروس لغرض في نفسك لا نعرفه نحن ولا تفصح عنه؟!

– أنا لست رجل دين كي أكذب يا صديقي، أنا عالم...قال صفائيل بابتسامة ساخرة

ضحك زلنبور كثيًرا، ضحك بمليء فيه حتى سعل من كثرة الضحك قبل أن يرد على صفائيل

– سأقولها لك صراحة..أنا لا أصدق هذا العلم، لا أصدق العلماء، أنا لا أصدق إلا ما يقوله لي الرب أما في كتابه وأما وحيًا في منامي.

– وهل قال لك الرب حقا أن هذا ما نحن فيه نعمة منه بالفعل أم أتفق ثلاثتنا على أن تكذب أنت هذه الكذبة؟ أم تحسبني من عامة الشعب لا أعرف الكواليس وما يحدث خلف الغرف المغلقة؟

ألتزم زلنبور الصمت وعلامات الغضب تظهر علي وجهه جلية، فأردف صفائيل قائلًا..

– لا تتعجل الغضب والتوتر يا صديقي، النور عدو الظل، القادم أسوأ بالنسبة لك.

قال هذا ومد يده في جيب معطفه، أخرج قارورة اختبار صغيرة مملوءة بسائل وردي اللون، رفعها أمام وجهه وهو ينظر إليها بإعجاب شديد

– هذه القارورة هي تاج عظمتي هي جائزتي الكبرى وصك نجاحي، هذه القارورة بها نهايتك يا صديقي بلا ريب.

سأله سلفادور بقلق ولهفة عن ما يوجد بالقارورة؟

- هذه القارورة تحتوي على علاج لموت المرض، هذا السائل الموجود بالداخل يستطيع قتل الفيروس الذي يجعل الناس لا يمرضون.

نهض زلنبور من مجلسه مذهولًا وفمه مفتوح عن أخره كمن رأى الشيطان يتراقص أمامه، حاول التحدث فلم يخرج من فمه سوى تهتهات غير مفهومة، فيما أمسك سلفادور كتفي صفائيل وراح يهزه بفرح عارم...

- أحقًا ما تقول؟ هل وجدت بالفعل حل لهذا الأمر أخيرًا، هل هذا ممكن؟ أن يعود البشر لطبيعتهم مرة أخرى وتنتهي تلك الأبدية؟
- نعم صحيح يا صديقي، بعد أن اكتشفت أمر الفيروس، وبينما كنت أمكث في مكتبي غارقًا في تفكير عميق يعتريني الهم بسبب ما جد في الأمر، جاء إلى مكتبي أحد المساعدين وأخبرني أنهم وجدوا أخيرًا حل لهذا الأمر، هرولت إلى المعمل وأنا غير مصدق لما يقول، أطلعت على نتيجة التحاليل بنفسي لأجد أن ما يقوله صحيح، كنا من قبل قد أتبعنا إستراتيجية مفادها أن نجمع بعض المضادات الحيوية مع بعضها البعض بنسب معينة، وكنا نحقن ذلك المخلوط لأحد فئران التجارب، ولأننا لم نكن نرى أي خلل في التحليلات لأن هذا الفيروس غير ظاهر نهائيًا فلم يكن أمامنا لمعرفة تأثير المخلوط إلا حقن الفأر بمرض ونرى التأثير عليه، في بداية الأمر باءت كل محاولاتنا بالفشل الذريع، حتى كدنا أن نتخلى عن تلك الإستراتيجية ونفكر في غيرها، لم يتبقى أمامنا إلا أمر واحد وهو أن نخلط كل المضادات الحيوية المعروفة لدينا كل نوع نخلطه

بنسبة حسب تأثير، قمنا بالفعل بعمل هذا الخليط، ولأن جسد الفأر لم يكن سيتحمل هذا الخليط تتطوع أحد العاملين في المعمل بتجربة هذا الخليط عليه، وبالفعل قمنا بحقنة بكمية وفيرة منه، وبعد برهة تم حقنة بفيروس الأنفلونزا، أظهرت التحاليل بعد ذلك أصابته بالأنفلونزا، يلزمنا بعض التجارب البسيطة لتحديد كميات المضادات الحيوية اللازمة، واستبيان هل كل الأجساد ستتحمل ذلك أم لا، لكن رغم ذلك أستطيع أن أقول لك بكل يقين أن هذا العلاج فعال تمامًا، اليوم لقد قتلنا من أمات المرض، وليس هذا فقط، لكننا نعتقد أيضًا أن هذا العلاج يقتل الفيروس المسبب للانتحار، لأنه لم يظهر إلا بظهور الأبدية فبالتأكيد هو أحد أعراضه الجانبية.

- لكن يا صديقي هل نحنا الآن نتحدى قانون الطبيعة الذي أنشأت موت المرض والتي أرادت للناس الانتحار؟ نحن بذلك نلغي الجبرية ونحرر إرادة البشر؟ هل ستصمت الطبيعة على هذا الأمر؟
- العلم دائمًا ينتصر يا صديقي، ينتصر حتى على الطبيعة نفسها، ماذا ستفعل الآن؟ لقد اكتشفنا العلاج بالفعل وقضي الأمر، وحتى إن لم تقف الطبيعة عاجزة، وقررت محاربتنا، فنحن أهل لها، هذا العلاج ليس مجرد دواء جديد، ولكنه صرخة، وجسر عبور ناحية امتلاك إرادتنا الحرة، إذا استطعنا أن نهدم أحد قوانين الطبيعة وهو الأبدية، فباستطاعتنا أن نهزم كل قوانينها الجبرية المرغمين عليها، هذا الدواء خطوة ناحية العظمة لنا.

بعد أن سمع سلفادور هذا الكلام وأطمئن قلبه راح يهلل ويتراقص فرحًا كطفل صغير سعيد بلعبة جديدة، كان يقفز ويدور في القاعة فرحًا وصفائيل يضحك سعيدًا، أما زلنبور فاعتلاه الهم كمن يقف في وجه قطار قادم بأقصى سرعته دون أن يستطيع الحراك، وقف قبالة صفائيل الغارق في ضحكاته السعيدة وراح يحدثه بنبرة ذليلة مستجدية للشفقة..

- لكن يا صديقي ما موقفي الآن؟ لقد أخبرت الشعب أن الأبدية هي نعمه من الله، ثم أخبرتهم أن الا نتحار محرمًا لأنه اعتراض على نعم الله، كيف أقول لهم الآن أننا وجدنا علاج يمحي نعم الله؟ أنت الآن ستعلن عودة المرض وموتي أنا
- من أوهمك أني أكترث لأمرك أو مصيرك؟ أنا سعيد بهذا المصير المقبل عليه أكثر من سعادتي باكتشافي العلاج، أخيرًا سيقرر البشر موتك من تلقاء أنفسهم بمحض تفكيرهم الحر، سيعرفون أنك ومن على شاكلتك كاذبين منافقين ومخادعين، وأن الله لا يحتاج لأمثالكم ليتواصل مع البشر سيتيقنون أن رجال الدين أمثالك هم أكبر عبأ وخطر على الدين وعلى رسالة الرب للبشر.
- ولكني يا صديقي فعلت هذا من أجل المصلحة العامة، لقد كذبت لمصلحة الشعب، وما كذبت يومًا إلا لمصلحتهم.
- لا كنت تكذب من أجل مصلحتك الخاصة، تكذب حتى تخدع الناس وتضمن ولائهم لك وتقديسهم لكل ما تقول، وتزيد من سيطرتك على عقولهم باسم الرب، الرب جعل الدين لتنظيم حياة البشر وليس لتفضيل بعضهم فوق بعض درجات كما فعلت أنت وأسلافك من قبلك، جعلتم أنفسكم بين البشر،

وأتباعكم فوق الأخريين، زرعتم الكراهية داخل نفوس الشعب تجاه كل المخالفين لكم حتى وإن لم يتسببوا في أي أذى لكم، لم تتورعوا يومًا عن القتل باسم الرب، أنتم دود هذه الأرض، وأكبر وبال على هذا الدين لكن اليوم انتهيتم وإلى الأبد أما دين الرب فهو باق.

– نعم أنت محق، نحن لم ولن نتورع يومًا عن القتل باسم الرب

قال هذا وعلى حين غرة بحركة سريعة خاطفة في وسط غفلة من صفائيل أستل خنجره من حزامه، وقبل أن يدرك صفائيل ما يحدث رفع الخنجر إلى عنقه ونحره، تطايرت الدماء من عنق صفائيل الذي حاول أن يكمدها وعيناه مفتوحتان عن أخرهما لكن دون جدوى، قد سبق السيف العزل، سقط صفائيل مذبوحًا مدرجًا في دمائه أسفل أقدام كبير الكهنة ورجل الدين الأول في تاهيمنس المعظم زلنبور. في تلك اللحظة تنبه سلفادور إلى ما حدث، هرول ناحية صفائيل المذبوح وحاول إسعافه لكن قضي الأمر وفاضت روحه، نظر إلى زلنبور الواقف بثبات، أمسكه من تلابيب ردائه، نهره بعنف وهو يسأله لما فعل ذلك.

– أن لم يمت صفائيل كنت سأموت أنا

ثم رفع يده الممسكة بالخنجر ونحر عنق سلفادور

– ويجب أيضًا أن تموت أنت لأنك عرفت السر، ستبقى الأبدية وسأبقى أنا إلى الأبد أيها الحمقى.

أبتعد عن الجثث المسجية أرضًا، جلس على أقرب مقعد منه يلهث ويلتقط أنفاسه من شدة انفعاله، راح يفكر فيما سيفعل، كيف سيتصرف في هذا الأمر، نعم..سيقول أنهم انتحروا، نعم انتحروا وهنا تحديدا في المعبد أقرب مكان للرب طمعًا في مغفرته ورحمته، قام من مجلسه ووضع خنجره بجوار جثة صفائيل، أحضر خنجر أخر ووضعه بجوار جثة سلفادور، تمالك نفسه وعدل هندامه ثم أتجه إلى المنصة ليلقي الخبر على مسامع سكان الجزيرة، قبل أن يصل إلى المنصة أهتز المعبد بأكمله، هزة أرضية عنيفة، زلزال قوي أستمر لدقيقة كاملة، حين هدأ سُمع في الأفق صوت عميق يأتي من اللا مكان، لا يعلم أحد مصدره ولكن سمعه كل مخلوق على الجزيرة.

- الآن حان الوقت، سيموت كل أهل هذه الأرض، الآن ساعة الانتقام..ستموت يا زلنبور لأنك كاذب مخادع، وسيموت باقي البشر لأنهم أغبياء لم يفكروا وقدسوك دون تفكير، سيموت الجميع وسيأتي غيركم ليحلوا مكانكم، ولنرى ماذا سيفعلون.

صمت الصوت والجميع لا يعرفون ماذا يحدث، فجأة وجد زلنبور نفسه يرتفع في فضاء القاعة وذراعيه تمتد بجواره دون رغبة منه، شعر بألم عظيم، راح يصرخ فيما كانت أعضائه الداخلية تضمر وتنكمش وتجف، بترت يده اليمنى وسقطت أرضًا، بترت بدون فاعل، وكذلك حدث لليسرى ولقدماه، فقأت عيناه وهو يصرخ، قطعت أذناه ومازال يصرخ، ثم أنفجر ما تبقى من جسده دفعة واحدة.

في شوارع الجزيرة كان المشهد أكثر بؤسًا ومهابة، كان سكان الجزيرة جميعًا يخرجون من بيوتهم ناصبين أذرعهم أمامهم وهم مغمضين العينين، يتجه الجميع ناحية الجبل على أطراف الجزيرة الجنوبية ثم يصعدون إلى أعلى الجبل، أما الجبل نفسه فلقد أنشق باطنه وأصبح بركان مشتعل، تفور الحمم بداخله، وأصبحت قمته كفم وحش عملاق، كان أهل الجزيرة يسيرون متجهين إليه، يسيرون جماعات ومنفردين، يصعدون إلى القمة وحين يصلون يلقون أنفسهم داخل البركان بلا تردد وبلا تفكير وبدون أن يفتحوا أعينهم، كل شيء في الأفق صامت عدا صراخ من يسقطون في البركان وأصوات النار وهي تأكل أجسادهم، حين ألقى أخر شخص من أهل الجزيرة نفسه في البركان، وفي لمح البصر، اختفت كل المباني من على سطح الجزيرة، البيوت والمصانع والمعبد وكل شيء، أصبحت في طرفة عين خالية من أي بناء بشري، تحول سطحها بالكامل إلى اللون الأخضر كأنها زرعت حديثًا، نبتت الأشجار والأزهار، والأشجار أخرجت الثمار في التو والحال، أما أتون البركان المشتعل راح يخرج الدخان بشكل عامودي تجاه السماء، عامود من الدخان لا تحركه الرياح، وفي الأفق البعيد وعلى الطرف الأخر للجزيرة صوت سفينة كبيرة تقترب، قادمة إلى أرض الجزيرة، على متنها خمسة من البشر أثنين من العامة وقائد وعالم ورجل دين.

تمت